

النقد الاجتماعي وتجلياته في مقامات
"ركن الدين محمد بن محرز الوهراني"
(ت 1575)

رسالة مقدمة لنيل شهادة المستر تخصص أدب قديم

إشراف :
- د . زهرة بن يمينة

إعداد الطالبتين :
- حكيمة عبد الباقي
- فاطمة الزهراء بومعزة

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

كلمة شكر وعرّفان

الحمد لله حمدا كثيرا، حمدا للذي أخرجنا من الظلمات إلى النور، الحمد للعالم العليم، الذي علمنا ما لم نكن نعلم، الذي وفقنا إلى هذا الطريق واستعنا به، أكرما بخلقه وعليه توكلنا في أمورنا في الدنيا والآخرة.

أتقدم بالشكر والامتنان، واسمي معاني التقدير والاحترام إلى الدكتورة الفاضلة "بن يمينه زهرة" التي كان إشرافها شرف لنا، فكانت نعم المشرف التي أنارت لنا الطريق بتوجيهاتها، في هذا العمل المتواضع الذي كان ثمرة عونها لنا.

الشكر لكل الأساتذة الكرام من الابتدائي إلى الجامعة والامتنان الخاص إلى قسم الأدب العربي من الأساتذة والعاملين الذين ساهموا في تكويني طيلة مدة خمس سنوات.

إهداء

إلى الذي تعهد بتربيتي صغيرة؛ ورسم لي نهج العلم والنجاح...
إلى اغلي كنز امتلئ بوجودهما في حياتي أبي الفاضل
وإلى أمي المحترمة الصبورة التي كافحت؛
ونزعت كل الأشواك التي عارضت دربي.
وإلى مصدر سعادتي وقوتي في ضعفي؛ زوجي العزيز "مصطفى"
والى والديه الكرام "الشيخ ومليكه"
وإلى أخواتي البنات: "فاطمة؛ مليكه؛ سليمة؛ كحلة؛ الحاجة".
وإخوتي الذكور: "البشير؛ محمد؛ يوسف"
وإلى كل عائلة الزوج عائلة بالعالية من الإخوة
والأخوات: "محمد؛ سفيان؛ نبيه؛ خضرة؛ لامية".
وإلى من اعتبرتها أختا وصديقة "فاطمة قسوس أهدي ثمرة هذا الجهد
المتواضع.

حكيمة عبد الباقي.

إهداء

أحمد الله عز وجل على منه وعونه لإتمام هذا
البحث إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له أماله إلى من كان
يدفعني قدما نحو النجاح لنيل شهادتي إلى الإنسان الذي امتلك لإنسانيته
بكل قوة إلى الذي سهر على تعليمي وإلى مدرستي الأولى في الحياة: أبي
الغالي على قلبي أطال الله في عمره "احمد".

وإلى التي وهبت لي كل العطاء والحنان والتي صبرت معي كل الصبر
الذي لاستطيع وصفه أمي الحبيبة "محجوبة" وإلى أخواتي: نصيرة؛ نوال؛
سارة؛ هاجر. وإلى أخي العزيز: نصر الدين

وإلى كل من ساعدني في قليل والكثير.

بومعزة فاطمة الزهراء

مَلِكِ

تعد أكثر الآثار الأدبية لأولئك الأدباء الجزائريين الذين عاشوا في القرون الوسطى وما تلاها من العصور لمماليك ودويلات قليلة مخطوطة أو ميثوثة في ثنايا بعض الكتب، مما يجعل القراء والدارسين لهذا الأدب يعرضون عنه ويؤثرون الأسهل والأوفر متجنبيين بذلك عناء البحث والتنقيب، فذلك قد يكلفهم جهدا وزمنا يربحونه في الدراسات الأخرى، وما يزيد من صعوبة العثور على تلك الآثار التنقل الذي عرف به رواد الأدب الجزائري وغيرهم بين المشرق والمغرب والأندلس، فحملوا في ذاكرتهم صورا ومشاعر لأوطانهم وعبروا عنها بلغة أدبية وفنية، وتفننوا في تعبيرهم فمنهم من اختار الشعر ومنهم من اختار النثر ليمرر أفكاره عبره؛ كابن محرز الوهراني الذي تنوعت ثقافته بين المشرقية والمغربية، وهذا التنوع محكوم جزئيا بالجانب الجغرافي، إذ تجسد في أدبه وعبر عنه بأشكال مختلفة.

لا يزال هذا الأدب الهارب من وطنه في الحاجة إلى الدراسة والتحليل وسبر أغواره وما حواه من أفكار تعبر عن صاحبه ومجتمعه ومشاعره هذه لم تستوفيه الدراسات القليلة وتحليل للأدب الجزائري القديم، فلا نجد أدبائه ورواده ذكروا في بعض اسطر المعاجم وأمّهات الكتب وسبب في ذلك ازدهار هذا الأدب في عصر الصراعات السياسية مما جعله يندثر ويتأثر هنا وهناك متأثرا بها مما جعل الوهراني يبدع في فن من الفنون الأدبية النثرية وهي المقامة.

الحافز الذي جعلنا نختار هذا الموضوع الذي عنوانه ب"النقد الاجتماعي وتجلياته في مقامات ركن الدين محمد بن محرز الوهراني" (ت 1575) هذا لكثافة رسائله و مناماته وكثرتها وتوفرها وكذلك اشتهار بعضها عند المؤرخين القدامى، وذلك الأمر ساعد على البحث ومجنب لعناية والمسير للتحليل ومعرفة المقاصد من وراء ما يبثه من موضوعاته، أما الحافز الأخر هو الرغبة في إبراز آدابه للدارسين ذلك أن تنقله بين الدول العربية والإسلامية، واهتمام كل بلد بأدبائها جعل أدبه يكاد يفقد هويته الحقيقية، لم يستقر في وطنه ولا في الأوطان الأخرى التي هاجر إليها.

مما جعلنا نخوض هذا البحث والعمل في هذا الموضوع انطلاقا من جملة التساؤلات التي وردت حول هذا الموضوع وهي: ما هي تجليات النقد الاجتماعي في منامات الوهراني؟ وما هي أهم القضايا التي تعرض لها؟ وكيف أسهمت السخرية في الإثراء هذا النقد؟ لعلنا نجد الإجابة عن هذه تساؤلات التي أرقتنا وشغلت تفكيرنا منذ اصطدامنا بالموضوع لأول وهلة، وهذه جملة من التساؤلات الجوهرية التي حاولنا من خلالها أن تلج في مقامات الوهراني من باب الواسع وذلك لإحداث زاوية نظر معينة في هذا الموضوع جاء هذا البحث متراوح بين نظري

والتطبيقي معتمدين على خطة عمل قسمت بين طياتها مقدمة ومدخل وفصل الاول بمثابة فصل نظري لدراستنا والفصل الثاني تطبيقي وخاتمة.

بحيث تناولنا في المدخل المفاهيم اللغوية والاصطلاحية لكل من النقد الاجتماعي والمقامة، وبعدها تطرقنا الى الفصل النظري المعنون بالسخرية ودورها في النقد الاجتماعي، ثم الفصل التطبيقي بعنوان: النقد الاجتماعي وتجلياته في منامات الوهراني، وكل هذا بإتباعنا للمنهج الاستقصاء والتحليل، ومن المصادر المعتمدة في هذا البحث المدونة المحققة للوهراني " منامات الوهراني ومقاماته ورسائله" وهي المصدر الأساسي، أما المراجع فقد تنوعت وتعددت وبعض المعاجم سير الأدباء وتراجم وغيرها، ومن أهم المعاجم المعتمد في البحث كتاب "وفيات الأعيان والأبناء والأنباء الزمان" لابن خلكان.

أما بالنسبة للصعوبات التي عترضتنا هي نقص المراجع التي تتحدث عن الوهراني وجدت المنهج والصعوبة في التعامل مع الكتاب المنامات الوهراني غموض الألفاظ وقلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع وهذا ما زاد شغفنا في سير أغوار هذا البحث والرغبة في الاشتغال عليه.

وفي الأخير يسرنا تقديم جزيل الشكر والعرفان أستاذتنا الدكتورة " الزهرة بن يمينه" على ما بذلته من جهد وما قدمته من توجيهات والإرشادات، ولجميع الأساتذة جعلهم الله نورا لنا في دروب الحياة.

أولاً: النقد (مفهومه)

1- لغة

2- اصطلاحاً

ثانياً: النقد الاجتماعي.

ثالثاً: المقامة (مفهومها)

1- لغة

2- اصطلاحاً

رابعاً: المقامة

1- أصلها

2- خصائصها

3- روادها وأعلامها

تمهيد:

لقد اخذ مصطلح النقد نصيبه الوافر من تعريفات اللغوية والاصطلاحية؛ فنجده في المعاجم متقاربا في المعنى، أما التعريف الاصطلاحي قد سلك عدة اتجاهات؛ وهذا يعني أن هناك فرقا بين تعريف والآخر؛ بل الفرق يكون حسب المدرسة أو الاتجاه أو المنهج والنقد يبقى عملية تمحيص وتشريح لأي عمل أدبي.

1 - التعريف اللغوي للنقد:

عجت المعاجم قديما وحديثا بالتعريفات اللغوية لمصطلح النقد نذكر منها: أن النقد هو " هو تمييز الدراهم وإخراج الزيف منها... النقد تمييز الدراهم وإعطائها انساقا ونقدت له؛ الدراهم أي أعطيته أي قبضتها...، و قد نقدها ينقدتها نقدا وانتقادا."1 نستنتج من هذا القول أن النقد هو التمييز الشيء المحمود من المذموم. حيث كذلك نجد تعريف آخر لكلمة النقد عند الزمخشري النقد هو "نقده الثمن ونقده له فانقده؛ ونقد النقاد الدراهم، أي ميز جيدها من رديئها"2 أن هذا القول في المعنى نفسه ما جاء به ابن منظور في تعريفه للنقد حيث جمعوا على أن النقد في نظرهم هو التمييز بين كل ما هو حسن من السيئ.

من معاني النقد أيضا: النقد واختلاس النظر إلى الشيء، قال أبو الدر داء: "إن نقدت الناس نقدوك، وان تركتهم ومعنى نقدتهم عبتهم، واغتبتهم قابلوك بمثله."3 يتضح أن من المفهوم اللغوي للنقد هو تفحص الشيء، والحكم عليه وتمييز جيده من رديئه؛ كما يأتي بمعنى العطاء وتصويب وذكر العيوب والاختيار.

2 - التعريف الاصطلاحي للنقد:

يعد نقد نشاطا إبداعيا مثله مثل الأدب، على الأساس أن النقد الأدبي يستمد وجوده من وجود الآخر (الأدب) حيث انه يأخذ من أسسه وقواعده ويسلط عليه مقاييسه؛ كما يحقق بواسطة تصورات، ولعل هذا ما دفع بعض النقاد العرب إلى تعريف النقد الأدبي، واعتباره فنا ومن بينهم الأديب " محمد مندور" الذي يعرف النقد في قوله: "هو فن دراسة الأساليب وتمييزها وذلك على إن نفهم لفظة الأسلوب

1- ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، دار الإحياء التراث العربي للطباعة (ن و ت)، ط3 بيروت 1997 ، ج 14 ، ص 42 .

2- أبو القاسم الزمخشري: أساس البلاغة؛ دار الهدى، ط، عين مليلة ، 1998 ، ص 627 .

3محمد بن مورييس لحارثي:الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري، مطبوعات نادي مكة، ص 227 .

بمعناها الواسع، فليس المقصود بذلك طرق الأداء اللغوي فحسب، بل المقصود منحى الكاتب العام وطريقته في التأليف والتعبير والتفكير والإحساس على سواء، بحيث إذا قلنا أن لكل كاتب أسلوبه يكون معنى الأسلوب كذلك هذه العناصر التي ذكرناها.¹ بمعنى النقد عنده هو دراسة الأساليب وتمييزها، حيث يستطيع النقاد من خلالها الكشف عن الجوانب الفكرية والفنية، قد تكون كامنة في العمل الأدبي لا يستطيع أن يصل إلى عمقها إلا بامتلاك الثقافة واسعة تساعده على تحليل العمل الأدبي.

في الجانب الآخر نجد الناقد الجزائري: "محمد مصايف" في كتابه الذي خصص له قسماً كاملاً للنقد ومناهجه؛ ينطلق في مساره النقدي من فكرة مفادها: "أن النقد هو التمييز لأثر من الآثار هذا التمييز الذي يقوم على الكشف عن العيوب التي وقع فيها الأديب والمحاسن التي استطاع أن يضمها لنفسه ومحاولة تبصيره إلى كل هذه المحاسن والعيوب، إضافة إلى تنبيه الأديب إلى ما يحيط به من الأحداث وكذلك توجيهه وجهة إيجابية تخدم الصالح العام."² نلاحظ أن محمد مصايف تبنى فكرة قديمة أن النقد هو التمييز بين الجيد والرديء.

3 - النقد الاجتماعي:

إن النقد الاجتماعي هو الكشف عن بعض الظواهر والمفاسد الاجتماعية التي توجد في الواقع المجتمع وستعسر علاجها، ومعنى النقد هنا يختلف عن معناه السابق وغالبا ما يوجد هذا النوع من النقد في مجال القصة والمسرح، حيث نستدل ذلك من قول: "محمد مندور" بان: "لما كانت الظروف التاريخية التي دفعت اتجاه الأدب نحو النقد الاجتماعي."³ أو هو عبارة عن تحليل النصوص تقترح النظر في علاقة النص بالمجتمع، ودراسة وضعية الاجتماعية للنص، استعمل مصطلح النقد الاجتماعي بسبب ملاءته على الرغم من انه يدل نفسه منذ سنين عديدة على إجراء الآخر غير مجرد التأويل "التاريخي والاجتماعي للنصوص باعتبارها مجموعات أو نتاجات خاصة"⁴ والمعنى من هذا أن النقد الاجتماعي مرتبط بالظواهر التاريخية في العصور القديمة كانت جد صعبة وهذا ما أدى بالكاتب أو الناقد إلى ربط التاريخ

¹ محمد مندور: في الأدب والنقد؛ دار النهضة؛ القاهرة؛ (د ط)؛ 1973 م؛ ص 10 .

² محمد مصايف: الدراسات في النقد الأدب؛ المؤسسة الوطنية للكتاب؛ الجزائر (د ط) 1988 ص، 19

³ رشد سلاوي: مصطلح النقد في تراث محمد مندور؛ علم الكتب للنشر والتوزيع؛ الأردن؛ ط 1 2009؛ ص: 117 .

⁴ المرجع نفسه؛ ص: 117 .

بالمجتمع؛ حيث قال: "عماد علي سليم الخطيب" في كتابه {في الأدب الحديث ونقده} بان: "الأدب ظاهرة اجتماعية"¹ لأنه ربط الأدب بالمجتمع والنظر إليه على أنه لسان المجتمع والمعبر عن الحياة، فالحياة هي مادة الأدب فمنها موضوعاته وأفكاره وتصوراته، حيث أن معظم الأعمال الأدبية لم تخلد ولم تتسم بالعظمة والديمومة إلا أنها خدمة الحياة، وعبرت عنها وصورة هموم الإنسان ومشكلاته فيها، فالأدب إذا يقدم صورة للعصر والمجتمع.

يعد النقد الاجتماعي الأكثر مسايرة للتطور النقدي" فهو مشروع محدد ومؤرخ ولكنه في ذات الوقت مشروع مفتوح"² من خلال الجهود المتتالية والمتعددة لتطور وبعته بصورة أكثر فعالية أي انه مشروع واع لكل ما يظهر من جديد، ففي ظل التطور المعرفي والنقدي وتبعاً لمفهومي، التراكم والتكامل عرف الازدهار كبيراً في العهد المعاصر نتيجة الاتساع مجالات استعماله لمفاهيم العلوم الإنسانية؛ بفضل تفاعله مع بقية الاختصاصات الأخرى في مجال المعرفة الإنسانية؛ بناءً على ذلك فان "النقد الاجتماعي بصورة مختلفة ومتطورة لم يكن بكل بساطة موقفاً فكرياً مجرداً ولا وليد لحظة بذاتها"³ انه يعبر عن موقف الفرد إزاء قضية أو فرد أو جماعة معينة؛ كما يعكس هذا الموقف من حيث الإيجاب أو السلب؛ والاتجاه سواء أكان على مستوى الفرد أو الجماعة يتضح عملية تقييم أو إصدار حكم معين، وكل حكم يتضمن قيمة معينة إما موجبة أو سلبية وعلى أساس هذه القيمة يتحدد الاتجاه، وتتحدد وجهته الجماعية.

¹ عماد علي سليم خطيب: في الأدب الحديث ونقده؛ دار المسير للنشر والتوزيع؛ (د ط) 2009 ص: 257.

² دانيال يافجي والآخرين: مقدمة في مناهج النقدية للتحليل الأدبي، ترجمة: وائل بركات غسان السيد؛ مطبعة زيد بن ثابت، (د ط)؛ (د ت)، ص: 137.

³ عبد الرحمان بو علي: مقال اثر المنهج السوسيولوجي في الدراسات النقدية العربية، مجلة الوحدة تصدر عن المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط؛ 0/ 10/ 1988 العدد 49 ص: 31.

4 - المقامة:

يعتبر فن المقامة من الفنون النثرية التراثية الأصلية، المتجددة في الأدب العربي؛ كما يعتبر من أكثر الفنون النثرية، إثارة للجدل نظراً لكثرة اهتمام الدارسين بها وتعدد الدراسات حولها واختلاف الآراء في أصلها ونشأتها وشكلها ومضمونها، ولتعمق الأكثر في أصل المقامة ونشأتها، لابد من البحث في مفهومها وتحديد خصائصها.

4-1-التعريف اللغوي للمقامة:

و رد في لسان العرب لابن منظور/ إن المقامة بمعنى: "موضع القدمين والمقام والمقامة بالضم؛ الإقامة والمقام بالفتح؛ المجلس والجماعة من الناس."¹ ومعنى هذا القول لابن منظور أن المقامة هي موضع القدمين لجماعة من الناس في مجلس معين؛ وقد ورد في القرآن الكريم من (.. عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا) {سورة الإسراء الآية 79} أيضاً وردت كلمة المقامة بالمعنى المجلس والموضع في المحكم والمحيط الأعظم: "المقام والمقامة المجلس"، "والمقامة السادة: وكل من وجعك من جسمك فقد قام بك."² و قصد به أن المقامة هي جماعة من الناس في مجلس يلقون كلاماً في مكان معين إما يكون هذا المتحدث واقفاً أو جالساً.

4-2-التعريف الاصطلاحي للمقامة:

ظهر عند العرب خلال القرن الرابع هجري، نوع فني نثري قصصي يعرف بالمقامة، وهو فن قصصي حكاوي يصور فيه الكاتب حالات الاجتماعية، وقضايا سياسية بلغة سليمة، وبطابع أدبي بليغ، ويصفون فيها أحاسيسهم وعواطفهم، كما يبرزون من خلالها صوراً ومشاهد من حياتهم المعيشية وقضاياها بلمحة من لمحات السخرية والدعابة والمجون، فيصفونها في شكل قصة قصيرة فيبدعون في بنائها وتركيبها بلغة فصيحة، وأسلوب جذاب بسلب العقول والقلوب السامعين حيث قال: "زكي مبارك"؛ في كتابه {النثر في القرن الرابع} " وظهر أنواع الأقاصيص في القرن الرابع هو فن المقامات؛ وهي القصص القصيرة التي يودعها الكاتب ما يشاء من فكرة أدبية أو فلسفية أو خظرة وجدانية أو لمحة من لمحات الدعابة

¹ابن منظور: لسان العرب؛ ج 1؛ ص 335.

²ابن السبويه: المحكم والمحيط الأعظم: تحقيق عبد الحميد هنداوي؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت (د ط) 2000؛ ص 16.

والمجون، وكان المعروف إن: "البديع الزمان الهمداني" هو أول من أنشأ فن المقامات¹ وهذا يعني أن فن المقامات ظهر مع البديع الزمان الهمداني، يعتبر هو رائد الأول لهذا الفن والمؤرخ لها في الأدب العربي.

وكذلك نجد "شوقي ضيف" إلى جانب "زكي مبارك" يعرف المقامة في كتابه {المقامة} تعريفاً آخر لفن المقامة حيث قال: "ليست المقامة إذن قصة وإنما هي حديث أدبي بليغ وهو أدنى إلى الحيلة منها إلى القصة، إلا ظاهرة فقط، أما هي في حقيقتها فحيلة يطرفنا بها البديع الزمان وغير لنطلع من جهة على حادثة معينة، ومن جهة ثانية على أساليب أنيقة ممتازة بل الحادثة التي تحدث للبطل أهمية، إذا ليست هي الغاية؛ إنما الغاية التعليم والأسلوب الذي تعرض به الحادثة، ومن هنا جاءت اللفظ على المعنى في المقامة، فالمعنى ليس شيئاً مذكور، وإنما هو خيط ضئيل عليه الغاية التعليمية"² يقصد {شوقي ضيف} من خلال التعريف هذا؛ أن فن المقامة ليس بقصة بل هي حديث بليغ لها علاقة بالحيلة، فهي في حقيقتها عبارة عن حيل صاغها الهمداني في عبارات موجزة وقصيرة في طابع فني قصصي يصف من خلالها نماذج كثيرة انطلاقاً من الحياة اليومية لمجتمع أو عصر، وذلك للاطلاع على حادثة من جهة ومن جهة أخرى على أساليبها، فالحادثة التي يتعرض لها البطل خلال مسيرته ليست لها أهمية بالغة، فالغاية من المقامة ليست تأليفاً القصص فقط، وإنما كان لها وظيفة تعليمية وهي توعية الناشئة جوهر اللغة العربية.

3-4 رواد المقامة:

لم يكن عصر البديع الزمان الهمداني صاحب المقامات المعروفة والمجد الأدبي الكبير عصراً فقيراً من الناحية الأدبية والعلمية، بل كان كما سمي زبده الحقب إذ ظهر فيه فضاحة الأدب والعلم والشعر أمثال {المتنبي والخوارزمي والتوحيدي والقالبي والجرجاني}.

كان الأدب في هذا العصر صورة صادقة لمجريات الأحداث آنذاك وما المقامات إلا وليدة مظاهر الاجتماعية سائدة والفاعلة في ذلك العصر³: إي أن المقامات هي وليدة مظاهر اجتماعية التي كانت تسود آنذاك.

¹ زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع هجري؛ مكتبة السعادة؛ مصر؛ (ط2)؛ ج1؛ (د ت)؛ ص179.

² شوقي الضيف: المقامة؛ دار المعارف؛ مصر؛ القاهرة؛ ط3؛ 1973؛ ص: 09

³ سمير شمس: الجامع في المقامات؛ دار المدار الثقافية؛ البلدة؛ ط1؛ 2013؛ ص: 05

1- ابن دريد: (837/هـ/223 م - 321 هـ / 933 م) لا اخفي أنني ترددت شيئاً وأنا أقدم ابن دريد بين رواد الفن المقامي في الأدب؛ بل حين أقدمه عليهم جميعاً ولكن حاولت إظهار الدور الريادي لهذا الرجل في نشأة فن المقامة¹؛ فأحاديث ابن دريد تحمل المعنى المقامة وان لم تكن بمعناها الاصطلاحي المعهود ولكن يبتعد عنها: نموذج من أحاديث ابن دريد:

اخبرنا عبد الرحمان عن عمه قال: دفعت يوماً في تلمسي بالبادية إلى وإخاء لا أنيس إلا بيت معكر بفنائهم؛ وقد ظمئت؛ فيممت فسلمت؛ فإذا عجوز قد برزت كأنها نعمة رخم؛ فقلت: هل من ماء؟ فقالت: أو لين²؟

2 **بديع الزمان الهمداني** (358 / 398 هـ): محمد بن الحسن يحيى بن سعيد الهمداني؛ علم لا ينكر في تاريخ أدبنا العربي³، ومما يجدر ذكره أن الهمداني كتب أكثر من أربعين مقامة؛ ولكن ما وصل إلينا منها إلا واحدة وخمسون؛ في حين يرى البعض خمسون، وفي موضع آخر اثنتان وخمسون، في حين يظن إنها كانت خمسون مقامة.

نموذج المقامة الأزديّة: "كنت ببغداد وقت الزاد؛ فخرجت إعتام من أعزائه لابتياعه؛ فسرت غير بعيد إلى رجل قد اخذ أصناف الفواكه وصنفها، وجمع أنواع الرطب وصنفها؛ فقبضت من كل شيء أحسنه وقرضت من كل نوع أجوده...."⁴

كما مر أن مقامات بديع الزمان أثارت اهتمام الأدباء والكتاب بها؛ وهيجت عواطفهم وذهب الكثير منهم يقلدونها؛ ولكن لم تأخذ مقاماتهم الشهرة التي قالت بها مقامات البديع الزمان باستثناء (حريري).

3 **الحريري:** هو أبو محمد قاسم بن علي بن محمد بن عثمان الشافعي⁵ علم غني عن التعريف؛ وبحق هو الخليفة الحقيقي لبديع الزمان الهمداني في هذا الفن⁶

¹حسن عباس: نشأة المقامة في الأدب العربي؛ مؤسسة دار المعارف؛ ص44.

²زكي مبارك: النثر الفني في القرن الرابع؛ مؤسسة التعليم والثقافة؛ مصر؛ ص 26 .

³المرجع السابق: نشأة المقامة في الادب العربي ص 52 .

⁴سمير شمس: الجامع في المقامات، دار المدار الثقافية؛ ط1؛ 201؛ ص13 .

⁵مهين حاجي زاده المقامة في الأدب والآداب، العالمية، مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة 2

العدد 4؛ ربيع والصيف (1237/هـ/200 م)؛ ص 23 .

⁶نجد هادي مرادي فن المقامات، النشأة والتطور دراسة وتحليل.

نموذج من المقامة المغربية:

"حكى الحارث بن همام قال: شهدت صلاة المغرب في بعض مساجد المغرب؛ فلما ديتها بفضلها وشفعتها بنقلها؛ اخذ طرفي رفقة قد انتبذوا ناحية وامتازوا صفوة صافية؛ وهم يتعاطون ناس المنافية؛ ويقتد حون زناد المتباحثة؛ فرغبت في محادثتهم لكلمة تستفد أو أدب يستزاد....."¹

ليس الحريري أول من حاول تقليد البديع الزمان في ضع المقامة؛ فمن قبله حاول (أبو نصر عبد العزيز بن عمر السعدي) المتوفى سنة 405 هـ (أبو القاسم عبد الله بن محمد بن نايقا) المتوفى في سنة 485 هـ؛ وطبعت ل (ابن لاقيا) نسخ مقامات ومن يقرؤها يتخذ بطلها شخصا يسميه (اليشكري) أما الرواة تعمدون وهي تدور في أكثرها على الكدية² وهو يحاول في مقاماته أن يأتي العبارات رائعة رنانة مبتكرة؛ ولكنه على العكس من البديع الزمان لا يهدف إلى الأغراض الاجتماعية. ربما كان أول من حاول تقليده في إصرار هو.

4 أبو طاهر السر قسطي: المتوفى سنة 538 هـ فقد اطلع على مقاماته؛ فانشأ خمسين مقامة معارضة لها أتعب فيها حاصره³.

نموذج من المقامة البيزومية (المقامة السادسة والعشرون- المقامة الحمقاء):

" حدث المنذر بن حمام قال: اخبرنا السائب بن تمام قال كنت وردداء الشباب؛ فشيب وحسام النشاط خشيت؛ لا اعرف إلا العارف ولا ألف إلا الآداب والمعارف؛ استضيء من رأيي بسراج؛ وأيسر من هدي على سنن وأدراج..."⁴

5 الزمخشري: (467 هـ - 538 هـ) في نفس التاريخ نجده يألف مقامات تدور كلها على الوعظ؛ وليس فيها راو ولا بطل؛ بل يبدوها بخطاب نفسه، وما يزال يعظ منكر بالأخرة؛ رادعا النفس عن شهواتها وتناول فيها أيضا الأدب والتصوف والزهد.

6 - مقامة التقوى:

¹سمير شمس: الجامع في المقامات؛ دار المدار الثقافية؛ ط1؛ 2013؛ ص 96 ؛

² شوقي ضيف: المقامة، ص77

³المرجع نفسه؛ ص76

⁴حسن الوراكي: المقامات للزومية؛ أبو طاهر محمد بن يوسف السر قسطي؛ ط2؛ 2006 جدار للكتاب العالمي؛ عالم الكتب الحديثة اربد؛ عمان؛ الأردن؛ ص236 .

يا أبا القاسم: العمر قصير والى الله المصير؛ فما هذا التقصير؛ أن زبرج الدنيا قد أضلك؛ وشيطان الشهوة قد استذللك؛ ولو كنت تدعى من أهل اللب والحجاء، لأنيت بما هو أحرى بك واحجى: إلا أن؛ الأحجى بك أن نلوذ بالركن الأقوى؛ ولا الركن الأقوى من ركن التقوى.....¹

6 ابن لجوزي: (510 هـ 597 هـ) مقامات ابن لجوزي تمتاز بصيغتها الصوفية العرفانية وبرمزيتها المكتسبة من حياة ابن لجوزي نفسه.²

نموذج من مقامات (المقامة الحادية والأربعون؛ في علم القران والحديث): دخلت يوماً إلى المسجد الجامع؛ فسالت العالم عن عالم جامع؛ فقيل لي: ها هنا شيخ يفسر القران ويروي الحديث؛ ويعرف التاريخ من لدن ادم وشيت؛ فساقى ما شافى؛ وراقني حلو وصفة قبل أن أذاقني؛ فقلت: هذا والله هو الغنيمة....³.

تتقدم في القرن السادس فنجد (حسن بن الصافي المصري) الملقب بملك النحاة يصنف المقامات على نسق المقامات الحريرية؛ ويضع صيغة (أبي العباس يحيى بن سعيد بن صارا النصراني الطبيب. وكان يعاصره) (أبو العلاء احمد أبي بكر بن احمد الرازي الحنفي) الذي ألف ثلاثين مقامة طبعة في اسطنبول مع مقامات (ابن نايقا) في مجلد واحد⁴ واتبع فيها جانب الاعتدال؛ وتعتبر مقاماته من أحسن المقامات في القرن السادس من حيث الأسلوب والموضوع.⁵

نمضي في القرون التالية للقرن السادس؛ فتكثر المقامات؛ ويكثر المقلدون ويتسع الموضوع الذي تخوض فيه؛ فقد يكون الأدب والفقه والنحو، كما في مقامات (ابن الصقيل الجزري) المتوفى سنة 701 هـ؛ وعدنها خمسون... وقد يكون الموضوع وصف الحيوانات مثل مقامات (ابن الحلبي) المتوفى سنة 779 هـ؛ وقد يكون وصف البلدان مثل مقامات (ابن الوردي) المتوفى سنة 779 هـ.⁶

و من الكتاب الذين اتبعوا نسق الحريري (محمد بن عفيف الدين لتلمساني) المعروف والملقب الشاب الظريف في (مقامات العشاق) التي فيها أنشودة الحب وهي تشمل على المعادن والدلالات روحية والصوفية.

1 شوقي ضيف: المقامة؛ ص: 77.

2 سمير شمس: الجامع في المقامات؛ ص 06 .

3 محمد هادي مرادي؛ فن المقامات؛ النشأة و التطور؛ دراسة وتحليل 131 .

4 شوقي ضيف: المقامة؛ ص 78.

5 مهين حاج زاده؛ المقامة في الأدب العربي والآداب العالمية؛ ص 24.

6 مرجع السابق؛ ص 78.

الصفدي: (703 هـ) قد تأثر الكاتب؛ كما يصرح بنفسه بمقامات (ابن العطار) التي ضاعت الأسف على مر الزمن؛ ولهذا السبب لا نعرف مدى تأثر أصفدي به ومن أهم كتاب المقامة في القرن الثامن (احمد بن محمد بن المعظم الرازي ت سنة 703) ألف مقامات معروفة بالاثنت عشرة؛ وألف أبو الفتح محمد بن سيد الناس) المقامات العلية في الكرامات الجليلة) موضوعها مدح النبي وأصحابه؛ وألف شمس الدين محمد بن إبراهيم دمشقي (مقامات الفلسفية والترجمات الصوفية وهي من أشهر المقامات التي صنف في العصور الوسطى في مجال المواضع الدينية وهي تشبه الرسائل.

السيوطي: المتوفى سنة 911 هـ؛ ربما كانت مقاماته أشهر المقامات التي صنف في العصور الوسطى المتأخرة؛¹ وهو من كبار علماء القرن العاشر الهجري، وتمتاز مقاماته بالحديث عن الزهور والورود والبساتين.²

ومن مقاماته: **المقامة الوردية** يقول فيها ".... مشتملة على ذكر عشرة رياحين ومنافعها: الورد والنرجس والياسمين وألبان والبنفسج والنسرين والنيلوفر والأس والريحان والفراغية...."³.

لخفاجي: (1569 م – 1659) تمتاز بنقدها الاجتماعي.⁴

يحاول غير واحد تقليد (الحريري)؛ ومن أشهر من قلده في القرن الماضي الشيخ (الحسن الغفار) في مصر و(الكوسة) في العراق؛ (والفارس الشدياق) و (ناصر اليازجي) في الشام.⁵

لقد انتقل فن المقامة إلى الأندلس بمن رحل إلى الشرق طلباً للعلم ومن الأدباء الذين اهتموا بهذا الفن هو (أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني) الذي ألف مقاماته في زمن (المعتمد بن عباد) و (أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم) و (الحسن بن علي لبطليموس المتوفى 566 هـ).

¹ شوقي ضيف: المقامة؛ ص 78.

² محمد هادي مرادي: فن المقامات النشأة والتطور دراسة والتحليل تراث الأدبي، سنة الأولى، العدد 4، 1988، ص: 132.

³ عبد الغفار سليمان البندري: محمد السعيد بسيوني زغلول؛ مقامات السيوطي لجلال الدين السيوطي؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت لبنان؛ ط1 (1402 هـ/1986) ص: 81.

⁴ مرجع السابق: فن المقامات نشأة وتطور دراسة وتحليل، ص: 132.

⁵ شوقي ضيف: المقامة، ص: 78.

استخدمت المقامات في القرنين الحادي وثاني عشر في مواضيع متعددة من أهم كتابها (أبو الفتح علون لقبلائي وعبد الله بن الحسين بن البغدادي السويدي) في مقاماتهما أمثال السائرة التي تشتمل على الأمثال القديمة والحديثة اتبع (ابن أبي الخير عبد الرحمن) هذا الطريق وألف كتابا عنوانه (المقامة الجامعة الأمثال الغزيرة)¹ يكفي أن نذكر كتاب العرب المحدثين ممن نسمع بهم في القرن الماضي والأوائل هذا القرن طبعوا جميعا أساليبهم بطولية، وما (ليالي السطوح) الحافظ إبراهيم والحديث عيسى بن هشام) لمحمد المويلحي إلا ثمرة من ثمار تقليد الحريري،² كما نجد مجموعة من الأدباء قد تأثروا بالبديع ومقاماته ونسخو على منوالها فمما في الأدب منهم:

1 ابن بطلان: (ت 458 هـ) المختار بن الحسن بن عبدون أبو الحسن الطبيب النصراني المعروف بابن بطلان³؛ ومن مؤلفاته كتاب "تقويم الصحة" الذي نشرت له ترجمة لاتينية في "لستراسبورج" عام 1531 م... والذي يعنينا هنا كتابة "دعوة الأطباء" الذي وصفه "ابن العبري" بأنه "المقامة ظريفة"⁴.

2 أبو العلاء المعري (363 هـ / 449 هـ) تظهر في الشام شخصية كبيرة كان لها باع طويل في فنون الشعر والنثر هي شخصية "أبي العلاء المعري" صاحب رسالة الغفران التي يرى شوقي ضيف انه استلهم فكرتها من مقامة ابليسية للبديع⁵.

ابن شهيد: (382 هـ 426 هـ) في الأندلس في رسالته "التوابع والزوابع" ومع تأثر ابن شهيد بالمقامة الابليسية في إقامة الإطار العام لرسالته؛ فانه تأثر بغيرها من مقامات البديع في صنع مادته⁶، أي أن ابن شهيد سلك طريق البديع الهمداني، لقد أضحت المقامة عدوى والحمى تحتاج الأمم، ولم يسلم منها أي احد وصارت درجة العصر، وحتى الجزائر تأثرت به أيما تأثر، وظهر هذا من خلال المؤلفات في المقامات الغنية، إن ظهور المقامة في الأدب العربي في المشرق بالشكل الذي عرفت به من خلال مقامات البديع، أصبحت تمثل فن قائما بذاته له مقوماته وخصائصه التي تميزه عن غيره من فنون النثر الأخرى.

¹ مهين حاجي زاده: المقامة في الأدب العربي والآداب العالمية، ص: 24.

² شوقي ضيف: المقامة ص: 78.

³ حسن عباس: نشأة المقامة في الأدب العربي؛ ص 77.

⁴ مرجع نفسه: ص 78

⁵ مرجع نفسه: ص 79.

⁶ مرجع نفسه: ص 96.

قد كان إيذانا فن جديد اقبل عليه الأدباء بعد البديع مقلدين والحقيقة أن التقليد لم يقتصر على الأدباء فقط بل تعداه إلى العلماء كالزمخشري والسيوطي؛ وتعدى هذا التأثير إلى الغرب، والتاريخ لازال شاهدا على ذلك من خلال الإقبال الكبير عليه وهذا طبيعي من بينهم: " ابن شرف"؛ " السر قسطي"؛ " الوهراني"؛ ولما كان الأدب الجزائري يمثل حلقة من حلقات الأدب العربي؛ فمن الطبيعي أن يلحقه ملحقات الأدب العربي عموما؛ و الأدب المغربي خصوصا ولعل أشهرهم:

1 الوهراني: صاحب المقامات و المنامات¹

2 محمد بن ميمون الجزائري: مقامة الفتح: شرف باذخ؛ ومجد شامخ؛ عقد النجوم؛ و أواخر في مفرق النسور ركائبه استفتح وهران وانبج صبح النصر؛ وبان وقفل؛ وألوية النصر عليه خافقة؛ وأسواق الظهور نافقة؛ والسنة الشكر والحمد ناطقة....²

3 عبد الرزاق بن حماد وش الجزائري: (1107 هـ / 1200) ومن الذين ألفوا في المقامات في العهد العثماني الذي ضمن رحلته ثلاث مقامات؛ يمكن اعتبارها نموذجا لهذا الفن في الأدب الجزائري في الفترة العثمانية وان مقاماته توحى بمقدرة أدبية كامنة فيه³؛ ومن مقاماته:

مقامة الروحية: في يوم الخميس السادس والعشرين؛ الفت المقامة الحالية: الحمد لله محول الأحوال و مريح البال؛ ومقلب الأمور في الدهور؛ والصلاة والسلام على خير الأنام؛ المبشر بالفرج بعد الشدة؛ والمنذر بالعناء بعد اللذة...⁴

4 محمد البشير الإبراهيمي: (1306 هـ 1385 هـ) المقامة الرثائية(مناجاة مبتورة لدواعي الضرورة): سلام يتنفس عنه القاع بازهاره وإبراقه؛ ويبسم عنه الصباح بنوره وإشراقه وثناء يتوهج به من غير الشجر عبيره، وينبلج به من البدر التمام؛ على الركب الخابط في الظلام منيرة وصلوات من الله ظهورها روح وريحان، وأركانها نعيم ورضوان؛ وتحيات زكيان تنزل بها، من ملا الأعلى، الملائكة والروح، ونفحات ذكيات تغذوها رسل الرحمة وتروح وخيرات مباركات يصدق برهان....⁵

¹الطاهر حسيني: فن المقامة في التحفة المرضية لابن ميمون الجزائري، د ط، د ت، ص: 96.

² عمر بن قينة: فن المقامة في الأدب العربي الجزائري، دار المعرفة الجزائرية، 2007، ص: 233.

³ مرجع السابق: فن المقامة في تحفة المرضية ص: 96.

⁴ عمر بن قينة: فن المقامة في الأدب العربي الجزائري، ص: 237.

⁵المرجع نفسه: ص: 255.

4-4- أصل المقامة ومصدرها:

إن فكرة إنشاء المقامات عند بديع الزمان الهمذاني قد تبلورت في مخيلته نتيجة الأمور كثيرة وفكرة متعددة؛ منها هيكل الحديث عند " ابن دريد" فهو انشأ الأحاديث للتعليم فاخذ بديع الزمان الفكرة وهذبها وادخل عليها عناصر الحياة والحركة والمفاجأة وجعلها من أسس المقامة¹ ومن هنا نستنتج بان المقامة كانت أول مرة مع البديع الزمان الهمذاني وقد استوحى فكرة مما سبقوه؛ وهذبها وعدل فيها وأخرجها بقالب فيه كل العناصر الحكاية وقد لاقت نجاحا باهرا في ذلك العصر وما بعده.

وفي رأي هنري مترجم مقامات الحريري إن الأساطير التوراة عند اليهود وقصة لقمان والهيستباداسا في اللغة السنسكريتية ثم البهلوية قد أوحى إلى البديع الزمان بفكرته²؛ ومعناه أن البديع الزمان الهمذاني كان على الاطلاع على الأدب القديم ومنه استطاع أن يستوحى فكرة المقامات العربية.

قد يكون ظهور القصة عند بديع الزمان بهذا الشكل إنما هو تطور لمقتضى حياة العرب واستقرارها؛ فالأدب العربي غني بالصور الفنية ولكنه فقير في الفن القصصي وقد يكون سبب فقر الأدب العربي في القصص راجعا إلى كثرة ترحل العرب والبحث والاستقرار³ ويعني ذلك أن العرب في ذلك الوقت كانت مهتمة بشيئين كثرة الترحال والبحث عن الاستقرار وهذا ما أدى إلى ظهور الأمثال بشكل كبير وتعتبر قصصا غنية بالصور الفنية. قد تكون قصص "جا" في الأدب الفارسية والتركية والعربية من ملهات البديع الزمان لفن المقامات؛ ولاشك أن شخصية "جا" كانت معروفة قبل البديع فابن نديم يذكر في فهرسة الكتاب نواذر جا. أي أن البديع الزمان قد استلهم الفكرة أيضا في الاختيار شخصيات المقامات من شخصية "جا" الفكاهة المضحكة المرححة وتأثره بما سبقه من فنون نثرية سردية حكاية كقصص " ألف ليلة وليلة" وتأثره " بابن المقفع الذي ترجم كتاب " كليلة دمنة" حيث يمتاز بأسلوبه الرائع.

¹مصطفى الشكعة؛ بديع الزمان؛ رائد القصة العربية والمقالة الصحفية؛ مع دراسة لحركة الأدب العربي في العراق العجمي وما وراء النهر؛ دار المسرية اللبنانية؛ ط1؛ 2003؛ ص302.

²المرجع نفسه؛ ص302.

³المرجع نفسه؛ ص 304.

⁴المرجع نفسه؛ ص304.

وهناك عمل آخر للجاحظ اثر فيه اثر بليغا؛ إذ تحدث في بعض كتبه عن أهل الكدية حديثا طويلا وقص نوادرهم؛ وبديع الزمان اطلع على هذا العمل للجاحظ¹؛ أي بديع الزمان قد استلهم على كدية من الجاحظ وأوحى إليه حيث اغلب مقاماته كانت على الكدية وتأثر تأثر بليغا بالجاحظ.

ومن هذا نستخلص بان **البديع الزمان الهمذاني** هو الرائد الحقيقي للمقامات في الأدب العربي؛ هو الذي اظهر هذا الفن في صورة فنية رائعة بل لقد التصق الاسم المقامات بالبديع الزمان في أذهان الناس؛ ولو كان قد اخذ من الذين سبقوه أمثال بن دريد وجحا والجاحظ حقا؛ فان ذلك لا يعنيه بل يزيد من إبداعه الفذ²؛ أي البديع الزمان هو الرائد لفن المقامات وهو أصل المقامة ومنشئها برغم من اخذ ممن سبقوه أمثال الجاحظ وجحا إلا انه ابتدع فيها.

4-5 خصائص المقامة:

تتميز المقامة بمجموعة من الخصائص التي تميزها عن النصوص الأدبية الأخرى ومن بينها:

قصص ونوادر مضحكة: إن من اخص خصائص مضمونة فن المقامة الهزل والمرح الذين يدفعان القارئ أو السامع إلى الإغراق في الضحك والواقع أن الإضحاك فن قائم بذاته...³ أي أن الضحك جاء من اجل التهويل والمبالغة في تصوير الأمور وتحليل المواقف.

أن فن الإضحاك يقوم عند(الحريري) على مثل ما كان يقوم عليه عند البديع الزمان من شحن المقامات بأفكار مضحكة⁴ كأنهم حينما وظفوا هذه المواقف الهزلية كان لها جانبان: جانب إمتاعي وجانب تصوير المواقف الإنسانية.

حيل المكذبيين: وهذا اللون من الأفكار يمثل المادة الرئيسية التي يقوم عليها مضمون فن المقامة إذ نجد معظم المقامات تعتمد أساسا على حيل المكذبيين و إخبارهم مغامراتهم⁵ كالتي نجدها عند (البديع الزمان الهمذاني) بحيث كان(السكندري) يعتمد على الاحتيال فيتعرض فيها إلى الضرب واللطم.

1 شوقي ضيف: المقامة؛ صفحات: 18/ 20.

2 شوقي ضيف: المقامة؛ ص 22.

3 عبد الملك مرتاض: فن المقامات في الأدب العربي، الشركة الوطنية لتوزيع والنشر، ص: 283.

4 المرجع نفسه: ص: 312.

5 المرجع نفسه: ص: 320.

المواعظ: أن هذا النوع الأدبي ثري بالمواعظ والحكم، أن الوعظ في الفن المقامة كان يدعو غالب إلى نبذ الدنيا نبذا تام.

عالج الحريري نحو ست مقامات في الوعظ أو أكثر؛ وكانت العظات تعزف على الوتر نفسه الذي كان البديع يعزف عليها غالبا... فوجدنا (الزمخشري) يختص مقاماته الخمسين كلها بالوعظ؛¹ أي كل من الزمخشري والبديع الزمان والحريري كانت مقاماتهم في الوعظ؛ أما (اليازجي) فنجد الوعظ في المقامة العقيقية والمكية والقدسية.

النقد الاجتماعي: إن وجدنا كثيرا من المقامات ذات مواضيع اجتماعية؛ ولاسيما مقامات البديع الذي يحب أن تكون مقاماته أغنى المقامات بالصور الاجتماعية ونقدها؛ أو السخرية؟...، فالأدب ما هو إلا مرآة عاكسة للمجتمع والواقع، فالبديع اسقط ما هو كائن في الواقع على المقامة.

وصف: خاصية عامة في المقامة وميزة لها، وقد كان من جملة المواضيع والأفكار التي قام عليها هذا الفن الأدبي.²

الرثاء:

طرائق والنوادر الأدبية: نجد المقامات كثيرة عند البديع الزمان تتناول طرائق الأدبية منها:

المقامة السومرية: وهي المقامة الفريدة من نوعها في فن المقامات...³ أي أنها تقول على الخيال المطلق؛ وإنما تتخذ من الواقع التاريخي مسلك تستمد منه.

نظريات فلسفية وفكرية: أن النظرية الفلسفية العميقة قد تكون نادرة الوقوع في المقامات من حيث أنها كانت لا تلتفت إلى النواحي العقلية العميقة ومع ذلك فإن بعض المقامات لم تخل نظرات فلسفية وفكرية⁴ أي أن بعض المقامات كانت ذات نظرة فلسفية وفكرية ومن ابرز هذه المقامات: **مقامة المارستانين** لبديع الزمان التي نجد فيها طائفة من الآراء الفلسفية والفرق الكلامية.

¹ عبد الملك مرتاض: فن المقامات في الأدب العربي الشركة الوطنية لتوزيع والنشر، ص: 321.

² المرجع نفسه: ص: 333.

³ المرجع نفسه: ص: 335.

⁴ المرجع نفسه: ص: 342.

غراميات: وجدنا الكثير من الخطرات العاطفية المبتوثة هنا وهناك من المقامات ومن أهم ما عثرنا عليه من مقامات التي تدور مواضعها على فكرة غرامية "المقامة البشرية" للبديع.

إما من حيث قالب العام للمقامة تبتدئ المقامة عادة بمثل هذه العبارات "حدثنا" أو حكى أو روى....

نجد البطل الرئيسي في كل مقامة لا يخرج عن كونه أما أديبا بارعا في القول، وإما شحاذا مكدبا يحرص على جمع المال واللباس والطعام.¹

التصوير البياني في فن المقامة: نجد كتاب المقامة ينهلون نهلا على التشابه والمجازات والاستعارات إلى الكنايات؛ فكانت صورهم الناشئة ممزوجة بين الصور المعنوية المجردة بالمحسوس منها لتفضي على النص رمزية؛ فحينما نجمع بين الصورتين مجازيتين تغنينا عن الإسهاب والإطالة وتصفي جمالية؛ كما تصور أفق وعبقرية الأدب وهي تتفاوت من حيث استعمالها من مقامة إلى أخرى.

محسنات البديعية: إن المقامة في حقيقتها وخيله يطرفنا بها بديع الزمان لنطلع من جهة على حادثة معينة؛ من جهة أخرى على الأساليب أنيقة ممتازة.²

أي أن المقامة منذ أن ابتكرها البديع نعت نحو بلاغة اللفظ وحب اللغة لذاتها؛ وان الجوهر ليس أساسيا وإنما الأساس هو ما هو خارجي؛ كما أن المقامة ركزت على الصيغة أكثر من الطبع.

الاقتباس والتضمين: ونعني الاقتباس هنا الاستلham الآثار الأدبية والدينية على اختلافها بما فيها القرآن الكريم والأشعار والأمثال وتضمنها المقامات³، ومنه نستنتج أن المقامات في الاقتباس من القرآن الكريم... لا بد لنا الوقوف على عناصر المقامة، وتقوم المقامة الهمدانية على الدعائم الأربع، و بها التزم اغلب المقامين في مختلف عصورهم وهي الروي؛ البطل؛ الموضوع؛ الأسلوب.

البطل/ يكون لكل مجموعة مقامات معينة أيضا بطل قصتها التي تدور حولها: وتنتهي بانتصاره في كل مرة وهو يتكرر في جميع المقامات باسمه وشخصية؛ فالبطل مقامات الهمداني مثلا(أبو الفتح السكندري)؛ وبطل مقامات

¹ عبد الملك مرتاض: فن المقامات في الأدب العربي، ص: 361.

² محمد عبده: مقامات البديع الزمان الهمداني، ص: 10.

³ المرجع السابق: فن المقامة في الادب العربي ص: 455.

الحريري هو (أبو زيد السروجي)¹ أي لكل مقامة بطل خيالي تدور حوله؛ القصة فهمذاني بطله أبو الفتح السكندري، هو عبارة عن تلك الشخصية أو الشخص الذي ترتبط به كافة الأحداث الرئيسية في المقامة، وتنتهي بتحقيق البطل النصر.

الموضوع: تدور كل المقامة من المقامات على نكتة خاصة وفكرة معينة يراد إيصالها عن طريق البطل، إذ أن اختلاف الموضوعات بحد ذاته يصور طبيعة المجتمع؛ تمتاز المقامات من حيث الموضوع والمضمون أيضا بحيلة أو حيل يلجأ إليها البطل لإثارة.

الأسلوب: صار للنثر مظهر خاص ومال الكتاب إلى الصنعة والسجع؛ واهتموا باللفظ وأحبوا التطويل وامتازت أساليبهم بعبارات التفخيم والتعظيم والتهويل² أي أساليب المقامة امتازت بعبارات التفخيم والتعظيم والتهويل والابتكار.

¹عباس مصطفى صالح: فن المقامة في الأصالة العربية والتطور القصصي، دار الحرية للطباعة، بغداد (1404هـ/1984)، ص 46.

²عباس مصطفى صالح: فن المقامة بين الأصالة العربية والتطور القصصي، دار الحرية للطباعة، بغداد (1404هـ/1984) ص:64.

الفصل الأول

السخرية ودورها في النقد الاجتماعي عند أبي محرز الوهراني

01 - مفهوم السخرية في اللغة والاصطلاح.

02 - دراسة موضوعية لسخرية الوهراني.

03 - سبب سخرية الوهراني.

04 - سخريته ونقده لمنظومة الأخلاقية في العصر الأيوبي.

05 - سخريته من الأدباء والعلماء عصره.

1- السخرية:

السخرية في الأدب فن ينبع عن الألم دفين ويشف من كرب خفي يريد اللجوء إليه ليداوي ألمه بالضد ويشفي كربته بالنقيض، ومن هنا كان الألم الذي يشعر به الأديب أو الشاعر وعدم قدرته على إلغاء الأسباب هذا الألم هو الدافع وراء هذه السخرية التي يصطفهما، غير أن البواعث للجوء إلى هذا الأسلوب يختلف من عصر إلى عصر حيث كانت غاية السخرية في عصر الفردية وفي عصر آخر جماعية، وهدف الكاتب من كتابة هذه النصوص سياسية أحر الاجتماعية، أو له أسباب أخرى، ولهذا نقول إن: السخرية لون من الهجاء أو المجون أو التهكم أو الفكاهة أو الظرف أو الهزل أو... ومن هذا نتطرق إلى التعريفات اللغوية والاصطلاحية للسخرية:

1-1 السخرية لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور: معنى السخرية هو "سخر منه و به سخرا ومسخرنا وسخرنا بالضم وسخرة و سخرنا وسخرية؛ هزئ به" وقال الفراء: يقال سخرت منه ولا يقال سخرت به.¹ السخرية مصدر في معنيين وهو سخري أيضا والسخرية الضحكة؛ إما السخرة فما سخرت من خادم ودابة بلا اجر ولا ثمن وقال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ سورة إبراهيم {آية 33} أي "السخرية من تسخر به سخرنا واستهزاء؛² " نستطيع القول من خلال هذه الدلالات المعجمية لكلمة لسخرية إنها تعني القهر والتدليل وإخضاع الآخر والشعور بالأفضلية والنظر للآخر نظرة دونية؛ أي قهرته وذلكته قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ {سورة الحجرات الآية 11} وقد نهى الإسلام عنها حيث وردت في عدت مواضع لقوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ {سورة هود الآية 38}؛ فكانت مرادفة لمعاني الاستهزاء وتبيان العيوب الجسدية والنفسية والمادية وهي مرادفة لكل معاني الاستهزاء، حيث يركز الساخر على تبيان عيوب الآخر.

¹ابن منظور: لسان العرب؛ مادة سخر، مجلد7، ط3؛ بيروت، 2004، ص: 144.

²خليل بن احمد الفراهدي: معجم العين، مجلد2؛ ط1، دار الكتب العلمية؛ بيروت 2003؛ ص

2-1 السخرية اصطلاحاً:

من الصعب وضع مصطلح جامع للسخرية وذلك لكون يتسم باعتباره فن قابلاً للتجديد والتطور كذلك كون السخرية أدب ساخر غرضه الإذلال والضحك؛ كما عرفها الزمخشري: "أنها إنزال وهوان وحقارة"¹؛ فالسخرية بذلك نوع من التأليف الأدبي أو الخطاب الثقافي الذي يقوم على الأساس الانتقاد للردائل والحماقات والنقائص الإنسانية؛ الفردية منها والجماعية² فهي أدب يقوم على أو مجموعة أغراض تبين الردائل والحماقات والنقائص الإنسانية؛ بهدف الاستهزاء والسخرية وقد تكون عن فرد أو مجموعة أفراد.

وعرف الأخر السخرية بأنها: " هي طريقة في التهكم المرير والتندر أو الهجاء الذي يظهر فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان؛ وربما كانت الأعظم صور البلاغة عنف وإخافة وفتكا"³؛ ومن هذا نقول بان الأديب الساخر يرصد ويراقب ما يجري من أخطاء؛ ويستخدم أساليب خاصة في التهكم الذي يقلل من قيمة المسخور منه؛ وهي ظاهرة يقصد من ورائها محاولة التخلص من بعض الخصال والخصائص السلبية في المجتمع؛ فكانت بذلك أعظم صورة بلاغية عفا وفتكا.

من خلال هذه التعريفات اللغوية والاصطلاحية للسخرية نستخلص بعض الخصائص والأهداف لهذه الظاهرة الأدبية نجملها في نقاط:

نكاء في التعبير عن الآراء خاصة؛ التمييز في الأسلوب الغير مباشر؛ النقد بأسلوب بلاغي لهدف معين قد يتمثل في الإضحاك أو النقد أو الإصلاح أو التقويم أو محاولة تفتيس عن الألام مكبوتة وعاطفة الجامحة.

فالسخرية وسيلة لنيل من الآخرين لتحقيق أهداف متعددة منها: الإساءة؛ إظهار التفوق؛ التخلص من ظروف القاهرة؛ الدفع الأذى وتفريغ الطاقة.

3-1 دراسة موضوعية لسخرية الوهراني:

إن مفهوم السخرية في الاصطلاح يوافق إلى درجة كبيرة ما جاء في المنام الكبير لوهراني؛ من رسم مواقف محرجة ومضحكة وساخرة من معظم شخصيات

¹بوحمام محمد ناصر: السخرية في الأدب الجزائري الحديث، (د ط) مدينة التراث القرارة، جزائر 2004، ص: 19.

² نزار عبد الله خليل الضمور: السخرية والفكاهة في النثر العباسي، حتى القرن 4هـ، (د ط)، عمادة الدراسات العليا، جامعة مدنة، ص: 4.

³ مرجع نفسه: ص: 05.

المنام، ولا يخلو المنام من السخرية التهكمية العدائية إذا، " التهكم ظاهرة جد وباطنه هزل" فهو ليس الهزل الذي يراد به الجد، فبينها فرق لطيف فالتهمك عكس الهزل تماما¹ والذي حد بها لوهراي هذا المسلك" الحلو وأنموذج ظريف، شخصيته التي تميزت عن بالبراعة والخفة الروح ورشاقة الأسلوب² فقد كان ظريفا خفيف الروح بارعا في الهزل والسخرية، فأطرف في هذا المنام، وهو يمثل رسالة هزلية طويلة، تناول فيها طرائف من المجتمع الأيوبي بالنقد والتجريح؛ فوجه النقد والتجريح للإحلال الخلفي، وفساد المنظومة الأخلاقية الدينية وضعف الوازع الديني الشرعي الدنيوي، فنقد طلبة العلم والمتظاهرين به وسخر من بعض الأطباء واستهزاء ببعض المذاهب الدينية؛ ولم يسلم احد من لسانه، كما قال: **الصفدي** (ت 764 هـ) فقد غمز سلطان نور الدين (ت 569 هـ) قائلا: " غير أن عرف بالمرعى الوبييل لابن السبيل؛ وبالمحل الجديد للشاعر الأديب، فما يروى ولا يعرى، ولا لشاعر عنده من نعمة تجزى³ يقصد الصفدي في قوله هذا انه كان بارعا في النقد والسخرية حتى في اكبر العلماء والفقهاء ذلك العصر.

4-1 سبب سخرية الوهراني في المنام الكبير:

الحقيقة أن السبب الوهراني في السخرية في كثير من أعيان الشام ومصر واستهزاء منهم في منامه الكبير، وأخرجهم من حشمت الوقار، إلى سخافة المقدار، واستهان بهم، حيث يقول الصفدي في هذا الموضوع: " وعلى جملة فما كان يسلم من شر لسانه احد ممن عاصره، ومن طالع ترسله وقف على العجائب والغرائب، وما كان يخلو من التجرو⁴، هذه العبارات التي أجملها الصفدي تصف حالة الوهراني مع معاصريه فمهما قيل عن الروح الفكاهة؛ فانه لا يخلو من العدائية والتجني والتجرو على معاصريه.

ذكر **صلاح الدين المنجد**، أن الوهراني: " صب سخريته وتهكمه على كبار العلماء دمشق وفقهائها وأطبائها وكتابها... ولم يسلم من لسانه وقلمه علماء مصر ورجالها⁵ الناظر في المنام الوهراني، تطالعه السخرية من أوله إلى آخره؛ فقد

1 ابو بكر ابن حجة تقي الدين: خزنة الأدب وغاية الإرب، تح: محمد ناجي بن عمر، ط1، ج1؛ دار الكتب العلمية 2008، ص: 121.

2 الصفدي: الوافي بالوفيات؛ ج4؛ د ط، د ت، ص: 387.

3 أبو قاسم شهاب الدين: كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورين والصلاحية؛ ج2؛ د ط؛ د ت؛ ص: 206.

4 مرجع السابق: الوافي بالوفيات، ص: 389.

تجرا على كبار العلماء والأدباء واعيان القوم ورؤسائهم؛ رسم صورة للمجتمع يتخيل للمتلقي من خلالها انهيار المنظومة الأخلاقية؛ فالزنا ظاهرة للعيان وقد رمى بها كبار العلماء والفقهاء؛ وانتشار الإماء والجواري؛ صورها في أقبح مشهد؛ كما صور فساد المعاملات بين الناس ومطل بعضهم في قضاء الديون وهول الفساد معتقداتهم وضعف الوازع الديني في حياتهم، كما رسم صورة في الانتشار الوسيطيات والمحسوبية و غمط حقوق الناس وظلمهم وسلط الضوء على ضعف الرعاية الصحية في المجتمع؛ فروائح المرضى منتنة لقلّة النظافة والرعاية؛ وبعض الأطباء يجهزون على المرضى بسبب جهلهم بهذه المهنة؛ وصور بعض طلبة العلم لا يعرفون منه إلا القصور الظاهرة في الكبر العمامة وتظاهر في طلبه كل هذه المشاهد أخرجها الوهراني في الأسلوب الناقد الساخر الذي اتخذ السخرية والفكاهة من اجل نقد الواقع وتشريحه فمهما قيل عن الفكاهة الوهراني وإضحائه لا يمكن للمتلقي أن يسلم دون أن ينعم نظره فيما وراء النص وما يخفيه اللفظ خلفه؛ ولعله سلك هذا المسلك في الأدب من اجل رواج فنه وأدبه ليجد لسلعته سوقا طلبا للمال كما يقول صلاح الدين منجد، إذ قال: " نعتقد أن السبب الذي دعاه إلى إتباع هذه الطريق هو طلب المال"¹ ومهما يكن فان القدماء أولو السبب سلوكه هذه الطريقة أن من كتاب الإنشاء؛ إلا انه عندما في الساحة الإنشائية: " القاضي الفاضل" ت 596 هـ و" عماد الدين الأصفهاني ت 597 هـ" عدل عن الجد إلى الهزل" وفنه الذي يمت به صناعة الإنشاء فلما دخل البلاد ورأى الفاضل والأصفهاني الكاتب وتلك الحلبة علم من نفسه انه ليس من طبقتهم ولا تتفق سلعته من مع وجودهم فعدل عن طريق الجد وسلك طريق الهزل"² وعند قراءة هذا النص يمكن الركون بان القول منجد السابق أن هدفه الأول هو جمع المال؛ سلاحه أول فن الإنشاء الذي توهم انه سوف يجلب له هذه الغاية إلا انه عندما لاحظ له في هذه البضاعة لجا إلى بضاعة أخرى عليها تجد سوق رائجة؛ وهي طريق ساخرة ضاحكة من اجل حصوله على غايته الأول وهي جمع المال.

5-1 نقده وسخريته للمنظومة الأخلاقية في العصر الأيوبي:

إن الوهراني في كل ما كتب؛ كان يسخر بمرارة وجرأة مدهشة من الناس والزمان؛ والظواهر الفساد والذات فلا شيء خارج الدائرة لسانه؛ ونقده العميق الذي

⁵صلاح الدين منجد: الوهراني ورقعته عن مساجد دمشق؛ تح: تركي مصطفى؛ دار احياء التراث، بيروت د ط، 2000، ص: 235.

¹ صلاح الدين منجد: الوهراني ورقعته عن مساجد دمشق، د ط؛ د ت، ص: 240.

²ابن خلكان: وفيات الأعيان وأنباء وأبناء الزمان، تح: عباس إحسان؛ دار الصادرة بيروت، ج 2، 1792، ص: 411.

لم يستثن شيئاً واحداً حتى ألوهراي نفسه؛ كما لم يسلم من لسانه لا الصوفية ولا رجال الدين الذين قال عنهم في كتابه المنامات: "هربوا من الصنائع الأعمال إلى الزوايا المساجد والمشاهد بحجة العبادة والانقطاع فلا يزال احدهم يأكل وينام حتى يموت... أنهم كالخروج في البستان يشرب الماء ويضيق المكان...¹ وفي هذا القول يبين الوهراني يصاحب الناس من هروبهم من أعمالهم اليومية من العبادة والإقامة في المساجد والزوايا. وفي هذا الموقف العظيم بدا الوهراني ساخراً من الطائفة من العلماء والأدباء، ورجال الدولة وخاصة في العصر الأيوبي لقد اتهمهم بأبشع الأفعال وجرائم الفساد؛ فقد تكتشف السرائر في موقف الحساب؛ فظهر عيب هؤلاء الناس، ويظهر ذلك من خلال قوله: "متى التعب والفرق؛ وأنا من الخوف على أسوء الحال، وقد أنساني جميع ما قاسيه، عظيم ما أعانيه من شدة الأهوال؛ فقلت في النفسي: هذا اليوم العبوس القمطرير وأنا رجل ضعيف النفس خوار الطباع ولا صبر لي على المعاناة هذه الدوامي؛ كنت اشتي على الله كريم في ساعة في هذا المكان رغيفاً عقيبياً؛ وزبدياً طباهجة ناشفة"²

في هذه الفقرة نجد ألوهراي يسخر من نفسه أولاً لأنه هو من هذا المجتمع الذي يعيش فيه فقد تخيل له في نفسه انه يعيش في حياة لا تليق به؛ وهنا إشارة إلى الحياة التي كان يتمنى أن يعيشها حتى لو كان منام؛ فوجد نفسه في الساعة المكان رغيفاً عقيبياً؛ وكان يتمنى أن يعيش كل هذه الأيام في الحقيقة بدل المنام بقوله: "فما انقضت أمييتي حتى طلع عبد الواحد بن جدر من جانبي وقال لي: الساعة رأيت عدة جوار يطلبونك من بعض الأولاد يزعمون أنهم منك؛ وأنت تفهم عنك؛ وبعضهم يدعي انك بعثهم لغيرك وهم حبالى منك فقلت له: هون عليك يا شيخ ولا يكون اخص منهم"³ في هذه الفقرة نلاحظ أن الوهراني بعدما انتهى من السخرية على نفسه بدا يسخر من حياة عصر الأيوبي وحياة الجواري والرقيق التي كان في ذلك العصر؛ في ذلك سخرية ناقدة هدفها التنبيه على المفاسد هذه الطبقة ثم بعد ذلك يمعن في السخرية والاستهزاء ويتمنى لو انه "كان كفلان الذي لا يقتني إلا غلمان الذكور كلما التحى واحد؛ باعه واخذ آخر"⁴؛ وفي هذا القول لوهراني يقول: أن هذه الأمنية اكبر من أختها السابقة؛ فهو هنا يلمح إلى الفعل المنكر وهو اللياطة؛ وهو من كبائر الذنوب وقد أخذ هذا الفعل مرة أخرى في منامه بقوله: "أما ترى المالك خازن

1 ركن الدين محمد بن محرز الوهراني: منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تح، إبراهيم شعلان محمد نغش، ط1؛ 1997؛ مصر، ص 20.

2المصدر نفسه: ص: 24.

3المصدر نفسه: ص: 25.

4المصدر نفسه: ص: 25.

جهنم قد خرج من النار مبلق العينين...، وهو يدور في موقف على اللاطة والقوادين من امة محمد صلى الله عليه وسلم ونحن متهمون" بهذه الحلال الميشومة"¹ أن هذا القول يبرز فيه الكاتب للمتلقي مدى شيوع هذه الفاحشة في هذا العصر؛ ولا يتورع عن الحديث عنها ويرمي بها نفسه والآخرين من العلماء والأدباء زمانه؛ وقد شغلت هذه القضية حيزا كبيرا من منانه؛ فنظر إليها وهو يرمي رجلا محدثا عن الرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول على لسان مالك خازن النار: "يا خبيث أنت كنت من المتفنين في اللياطة من المتبظرمين؟ فقلت أنا كيف ذلك يا سيدي؟ فقال لي: هذا كان يفسق بأولاد المسلمين."² في هذا القول هنا الوهراني يقذف صديقه بهذه الفاحشة، والإشارات كثيرة لهذه الظاهرة في المنام الوهراني ذلك أن المجتمع الذي يتحدث عنه منامه مجتمع على تماس مع الصليبيين في مواطن كثيرة من بلاد الشام، إضافة إلى بروز العنصر التركي بشكل ملحوظ؛ وذلك نتيجة لكثرة الحروب الصليبية.

1-6 - سخريته من الأدباء والعلماء عصره:

نقده وسخريته من أدباء عصره: انتقد الوهراني بعض الأدباء عصره في صنعة كتابه ونسب لهم العقم في فهمها؛ وذلك عن طريق سرد أحداثه في منامه؛ عن رقعة كتب بألوان مختلفة وخدمت بالذهب والزخارف وأعطيت إلى طلائع بن رزيك(ت 556 هـ)؛ فنظر فيها فإذا فيها: "سطر مكتوب بالأخضر اليانع؛ وسطر بالأصفر الفاتح وسطر بالأبيض الناصع؛ وسطر بالذهب الخالص في الورق الأحمر القاني مطرز الجوانب بالذهب الإبريز من صاحب هذه الرقعة يا زكي؟ فقال رجل من رؤساء دمشق ومقدمهم احذق الناس بالترويق في الأوراق والتصحيح الألفاظ؛ ومعرفة أصناف الفواكه والثمار؛ فقال له ابن رزيك: ما ادري ما تقول غير أنك سلبت هذا المذكور فضل الفضلاء ونسبته إلى الفلاحة والرعونة والجنون؛ ومع هذا فهي رقعة رجل المهين تدل على جهل قائلها ومهانتها؛ إلا ترى أن الناس توصلوا ألينا بالفضل والبلاغة؛ وتوصل هذا الرجل بلعب البنات وزخارف الصبيان؛ لو كتب هذا الكلام الذي في رقعت على فخذ خروف سمين والقي على الطريق لأنفت من اكله الكلاب..."³ فهذه الفقرة الطويلة يلتمس الوهراني السخط على بعض الأدباء الذين ينمقون الخط والرقاع؛ لا يعطون قيمة للمعاني التي تحملها ويسخر منهم ويقول لو كتب هذه كلها على خروف سمين لضاعت بسبب أكلها الكلاب هذا أنها

¹ ركن الدين بن محرز الوهراني: منامات الوهراني ومقاماته ورسائله؛ ص25.

²المصدر نفسه:ص:26

³المصدر نفسه: ص: 34، 35.

تقوم على الكلاب بأكل هذا الخروف تضيع هذه الرقع ولا تبقى شيء من هذه المعاني.

وهزئ كذلك من بعض العلماء في قوله يصف بعض العلماء المسلمين " له أربعون سنة يقرأ لا يحفظ مسألة من الفقه؛ ولا أية من كتاب الله تعالى؛ فقال الفقيه عيسى: صدقت والله يا أمير المؤمنين، وأزيدك زيادة، فقال وما هي؟ فقال الرقاعة والحماقة، ماله فيها نظير يلبس العمامة الكبيرة المعروفة بأشجع، الطرز ويركب بغلته الملقبة بقيسارية الفراء، ويمشي وبين يديه عشرة من الغلمان كلهم يتساقطون من الجوع ويقول لهم: قال لي السلطان وقلت للسلطان لا يستطيع أن يبصره في المنام..."¹

في هذا القول السخرية والاستهزاء والتهمك الواضح من بعض المتظاهرين بالفقه؛ ومنادمة السلاطين؛ وأسلوب السخرية واضح بسبب نعتهم بكبر العمامة لتدل على قلة عقلهم وتفكيرهم.

من أشكال السخرية ونقد المجتمع؛ التعريض بعبادة " المهذب ابن النقاش" فقالوا: " وجدوا له ثمانين صلاة في ستين سنة منها ثلاثون بغير وضوء؛ وخمسون مثبتة له خذها بارك الله لك في جميعها...؛ وليس غمز في الصلاة وحدها بل في الصوم والصدقات والحج والجهاد في سبيل الله وقراءة القرآن في الليل؛ وغير ذلك من العبادات."² هنا في هذا القول الكاتب يسرد هذه المشاهد من حساب بحيث لا يعدم الإحساس بالسخرية والاستهزاء والإضحاك المتعمد وذلك بجلب صورة الموحية وذلك من اختيار المفردات والكلمات الدالة على الاستهزاء، ونلاحظ أن في هذا المنام هناك السخرية أحيانا من الناحية نقد نظام الإقطاع ونفشي المحسوبية أي هناك من يحاسب في الأرض قبل الآخرة.

لقد تم التعرض في هذا الفصل إلى المنام الكبير للوهراني والوقوف على السخرية وتهكمه، إذ تكشف هذه الدراسة عن السخرية الكاتب واستهزائه بطائفة من العصر الأيوبي في مختلف العلوم، فقد سخر من طائفة من علماء مصر والشام، ومنهم الفقهاء والعلماء والأطباء؛ وأصحاب العلم الكلام وغيرهم، الذي سلطه الوهراني في كتابته لهذا المنام، أما عن الأسلوب الذي اعتمده الوهراني في منامه فقد كان مغاير لأهل زمانه، قائما على البديع والصنعة البديعية والسرد القصصي، ورسم المشاهد الخيالية الدرامية.

¹ ركن الدين بن محرز الوهراني: منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، ص: 55.

² المصدر نفسه: ص: 38، 39.

الفصل الثاني

النقد الاجتماعي وتجلياته من منامات ابن محرز الوهراني

- 1- نقد التصوف.
- 2- نقد القضايا الأدب.
- 3- نقد الولاية والملوك.

1-النقد الاجتماعي وتجلياته في منامات ابن الوهراني.

تناول الوهراني في الكتابة عددا من الظواهر الاجتماعية المدانة التي كانت تعصف بالمجتمع العربي آنذاك؛ وتحر في حسه فلوهراني في كتابه قام بتصوير أخلاق الناس وطبائعهم وهي على العموم رسائل النقدية لأنه لم يدع الرذيلة اجتماعية ولا نقيضه وجدها في أهل زمانه إلا والكشف عنها بجرأة وصراحة.

أحد مشاهده وفي موقف شديد ومرعب من مواقف يوم القيامة يلتقي الوهراني بصاحبه المحدث الحافظ جمال الدين لعلمي، وتقوم بينهما ملاحاة ويمر بهما في تلك اللحظة(مالك) خازن النار ويقبض عليهما ويرمي السلسلة برقبتهما لسحبهما إلى النار؛ ودار بينه الحوار التالي: "يا سيدي، هذا الرجل مغربي من أهل القران، وأنا رجل محدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فبأي جرم تأخذ قبل وقوف الرب سبحانه على حسابنا، فلعله يتجاوز عنا؟

فيقول له: يا خبيث أنت كنت من المتفنين في اللياسة ومن المتبظرمين.

فقلت له: أنا؟ كيف ذلك يا سيدي.

فقال لي: هذا كان يفسق بأولاد المسلمين

فقال لك: كنت... أولاد المسلمين، وتنتبت أسماءهم في جريدة عندك على حروف المعجم حتى لم يبق عليك منها إلا قليل، واتى عليك احبك وأنت مجتهد في التعليق بقية الحروف يا ديوث؛ أليس أنت الذي أدخلت فلانا الأمر؛ إلى الخزنة مظلمة، ونيمته تحت ضوء الروزنة فلما لم يطابق الضوء حجره قلت له بحنين وتلطيف¹: يا سيدي قربها إلي بفضلك يا خنزير وأي فضل يكون لأمر ومنكوح يا مرجوس؛ أليس أنت الذي أخذت يحيى المطرز، وقام عليك وراج عنك وأنت معنون، فلما اجتمعت له بعد ذلك بمدة طالبتة بالتمام؟

ولو عدت عليك المخازي التي رايتها أمس في صفيحتك لضاع علي الزمان، وأما هذا الرجل المغربي فرجل قواد لا شك فيه؛ فاستشطت أنا عند ذلك غضبا وأظهرت القلق العظيم وقلت له: المثلي يقال هذا الحديث؟ والله لتندمن على هذا الكلام.

¹ابن محرز الوهراني: منامات الوهراني ومقاماته ورسائله؛ ص: 29.

فقال لي مالك: لعلك تريد أن تهجوني بشعر مثل الذي رأيت في صحائفك اليوم أو تعمل في مقامه أو تدمه فيها مثل ما تفعل في بني ادم والله لأط منك بالفلع حتى يبول القنديلاني على ساقيه؛ واشتهيت أن اعلم ما سبب غيظك علي؛ هل تقدر تحلف أنك ما كنت تقود على رفيك هذا في دار الفورة يجيرون في سنة ثلاثة وخمسين وخمسائة من الهجرة؟

"فلما سمعنا ذلك خرسنا و أبلسنا وعلمت أن الناقد بصيرا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.¹ أي أن الوهراني كان يهجو ويفضح في كبار الشخصيات المعروفة والمغمورة ممن عاصرهم؛ وكان يصور أخلاق الناس وطبائعهم على شكل رسائل ومناات نقدية فهو لم يدع رذيلة إلا وكشفها؛ وهذا الحوار الذي دار بينهم هم ثلاثة عبارات عن تخيلات قام بها الوهراني على لسانهم وهي المشاهد وذلك بسبب اتهامهم بالزنا واللواط والقوادة؛ فيتوسل به العليمين أن يطلق سراحهما لان الوهراني من أهل القران وهو من أهل الحديث ولكن الملك عدد عليهما أشياء كثيرة مما اقترفاه في الدنيا.

1-1- نقد التصوف:

يعد الوهراني من اكبر المناهضين للطرق الصوفية، فنقده ينصب على سلوكهم العملي المفتقد لشريعة المنطق العلمي ذاته أي أن الوهراني كان ينقد كل من كان ضد الدين وأنكره وابتعد عنه.

مضي الوهراني في ذكر مصائب وقبائح أهل زمانه؛ ويوسع من دائرة نقده الاجتماعي لشمّل بعض المتصوفة أو بالأحرى أدعياء التصوف الذين انحرفوا بمبادئ التصوف الإسلامي وجوهرة إلى سبل أتمت إلى الإسلام بصلة.

ففي مشهد مهيب من مشاهد منامه يظهر الرسول-صلى الله عليه وسلم- في موكب عظيم وقد اقبل من مقام المحمود والناس يضحون بالبكاء ويلوحون إليه بالأيدي ويستغيثون به من كل مكان؛ فلما ينتهي إلى الشاطئ المشرعة؛ يقف عندها؛ فتتقدم إليه الصوفية من كل مكان(وعلى أيديهم الأمشاط و أخلة الإنسان وقدموها بين يديه) فقال صلى الله عليه وسلم: من هؤلاء؟

فقيل له: هؤلاء قوم من أمتك؛ غلب العجز والكسل على طبائعهم فتركوا المعايين؛ وانقطعوا إلى المساجد يأكلون وينامون.

¹المصدر السابق : منامات الوهراني ، ص31.

فقال: فيما كانوا ينفعون الناس؛ ويعينون بني آدم؟

فقبل له: والله ولا تسيء ألبته؛ ولا كانوا إلا كمثل شجرة الخروع في البستان؛ يشرب الماء ويضيق المكان فساق ولم يلتفت إليهم¹ أن إعراض الرسول صلى الله عليه وسلم عنهم وعدم التفاتة إليهم لمحة دالة على رفض المسلمين لهم وانصراف الفكر الإسلامي عنهم والوهراني قد صور رفضا حقيقيا لهم بتشكيل منام غير مدعي؛ وإغلاق المشهد بتهميش الرسول إياهم² أي أن الوهراني كان تصوره حقيقيا بالرغم من انه عبارة عن منام فمثل هؤلاء كمثل جسم غريب في بنية المجتمع الإسلامي؛ لا ينفعون الأمة في شيء؛ بل هم عالة على الأمة الإسلامية وعبا ثقيل على المجتمع. كشف الوهراني في منامه عن حقيقة هؤلاء وزيف ادعاءاتهم وأدان سلوكهم، وفضح أمرهم ووعدهم أعضاء غير فاعلين في المجتمع لأنهم ملوا من كد العمل ومزاولته وتعلم الحرف والمهن إلى الزوايا المساجد بحجة العبادة والتنسك والانقطاع؛ فغلب عليهم العجز والكسل؛ فما يزال احدهم يأكل وينام إلى أن يموت من غير أن ينفع الناس بمثقال ذرة خير؛ ونقده للمتصوفة يكمن في النقاط التالية:

بله العقل.

سفه الخيال

اللحي الطويلة

السبع المرقومة

التوكل المذمومة

التطفل على العباد

المكوث بالمساجد³

أي أن الوهراني استخلص جل ما يقومون به المتصوفة وفضحهم ونقدهم.

¹ابن محرز الوهراني: مناماته ومقاماته ورسائله؛ ص 48؛ 49.

²المنامات في المواريث الحكائي العربي، دراسة في النص الثقافي في البنية السردية، دار الناصر؛ ص 103.

³بوعرفة عبد القادر: ص: 02.

1-2 - نقد قضايا الأدب:

في المنام كبير للوهراني شعر وحكم وأمثال كثيرة¹ تدل على معرفة الوهراني الواسعة بقضايا اللغة والأدب والنقد إذ نقف على بعض آرائه النقدية من قبيل انتقاده طريقة ابن العميد الكاتب الذي لجأ إلى التصوير والتلوين والتطريز.

لقد عاب الوهراني منه ولم يسلم من لسانه وعاب على أسلوبه في كتابة والإنشاء على لسان الشعراء عصره وأدبائه؛ فتمت الإشارة في احد مشاهد منامه إلى رقعة منمقة كتبها ابن عميد وقد قرأ فيها شاعر الشام المشهور أبو الحسن بن منير طرابلس فقال: "هذه رقعة رجل دهان عارف بجل الأصباغ وإنزال الذهب؛ لكنه جاهل بضاعة كتابة الظاهر التكلفة فيها؛ يريد أن يتم الصناعة ويستر عوارها بالألوان مشرقة والأوراق المصبغة والتذهيب الرائق المليح؛ ومع هذا لا يجوز أن يكتب بمثل هذا الرقاع ألا القيان المعشوقات؛ و الظراف الساحقات"² أي انه يهتم بالأمور الخارجية ولا يبالي بالأمور الداخلية وان أسلوبه فيه عيب في الكتابة والإنشاء.

ولا يكتفي بهذا الحكم المجحف بل نراه يستنرد بعد هذا في نقده كتابات ابن العميد وذكر عيوبها فيستدعي الشاعر أخرا وهو الطائع ابن رزيك الملقب بالملك الصالح وزير مصر ويقول: "مع سخافة عقله وسكره من خمر الولاية قال يوما في جلسه لما عرض عليه الشيرازي قصائد الشعراء ورقاع المكدين منت أهل الشام وفي جملتها لابن العميد غيها سطر مكتوب بالأخضر اليانع، و سطر بالأصفر الفاقع و سطر بالأبيض الناصع، و سطر بالذهب الخالص في ورق الأحمر القاني مطرز الجوانب بالذهب الإبريز.

من صاحب هذه الرقعة يا زكي؟

فقال: رجل من رؤساء دمشق ومقدميهم؛ أهدق الناس بالترويق في الأوراق والتصحيف الألفاظ؛ ومعرفة أصناف الفواكه والثمار.

¹ منامات الوهراني: ص: 27.

² المصدر نفسه: ص: 33، 32.

فقال له ابن رزيك:

ما ادري ما تقول؛ غير انك سلبت هذا المذكور فضل الفضلاء ونسبته إلى الفلاحة والرعونة والجنون ومع هذا فهي رقعة رجل مهين وتدل على الجهل قائلها ومهانتها، إلا ترى إن الناس توصلوا إلينا بالفضل والبلاغة، وتوصل هذا الرجل بلعب البنات وزخارف الصبيان وكتب هذا الكلام الذي في رقعته على فخذ خروف سمين وألقى على الطريق لأنفت من أكله الكلاب"¹ أي أن وراء انتقاده اللاذع واعتراضه بطريقة لساخرة التهكمية على أسلوب ابن العميد دوافع شخصية واتهامه بالجهل والتكلف؛ فلا نستغرب منه هذا القول ولا سيما إذا عرفنا كساد بضاعته الأدبية إزاء بضاعة ابن العميد والقاضي الفاضل العماد الأصفهاني وعدم استساغته منافستهم.

ويشير في موضع الآخر من منامه إلى مسالة نحوية شاعت بين النحويين وهي مسالة الترخيم في النداء؛ حين ينادي مالك خازن جهنم.

قائلا: يا مال اسمع في كلمتين لوجه الله تعالى.

فيقول له: كيف اسمع وقد حذف ربح اسمي في النداء؟

فيقول: والله ما حذفته للتخيم في النداء الجائز عند جميع النحاة وإنما لفي شغل عن ذلك؛ وما حذفته إلا من شدة الصلع والانقطاع مادة الكلام"².

¹ منامات الوهراني: ص: 35، 34.

² المصدر نفسه: ص: 29.

1-3 - نقد الولاة والملوك:

لم يسلم احد من لسان الوهراني لا ملك معظم؛ ولا وزير مفخم ولا قاض محترم؛ فالفساد عم البلاد ولا يستثنى الأسياد ولا الأوغاد¹ أي أن الوهراني تكلم وتحدث عن الملوك والوزراء حيث انه كان يحارب كل الفساد في البلاد مهما كان شأنه.

حوار المساجد يحمل معارضة سياسية ساخرة؛ فكل ساسة سواء بدءا من مولانا السلطان انتهاء بابن عصرون²؛ أي أن المكاتب اختار شخصيات من عالم الأشياء وهي المساجد دمشق؛ ومزج بينها وبين الادمين كابن عصرون، والملك عادل؛ وانبت على الهجاء والشكوى التي تقوم عليها أساسا.

اجتمعت المساجد بطريقة رمزية أمام مسجدها الكبير وهو لها ملك كبير للمشاركة والمحاورة؛ حيث كل طرف يولي بشهادته وبطريقة تناوبية يتحدثون على سوء الأحوال والضياع الحقوق؛ ثم تتوجه إلى هذه الشكاوى ومشاهد إلى من يقوم بشؤونها وهو سعد بن أبي عصرون. لعله يصلح وينظر في أمرها³؛ لكن ابن عصرون تجاهل الشكاوي ورفعها إلى الملك العادل؛ عندئذ حاولت المساجد أن ترسل الملك بعد عدة محاولات يعد ما قد حل بها من إهمال لحقوقها؛ تجرع الم النكران، فوجد الوهراني في المساجد خير الجليس وفي محنتها خير أنيس.

فقال: "قال بعض العارفين بطريق الانتحال على اللسان الحال: لما تحكمت يدا ضاع في المساجد الضياع وارتج باب العدل وغلق ونبذ الكتاب وخلف؛ قرعت المساجد إلى جامع الحلق وهو يومئذ أميره وعليه مدار أمرها؛ فلما اجتمعوا على بابه؛ ودخلوا تحت قبته ومحرابه؛ كتب له جامع (النيرب) قصة إليه؛ وسألوا عرضها عليه؛ وكانت الرقعة مسطرة على هذه الصورة؛ المماليك؛ مساجد الكورة؛ يقبلون الأرض بين يدي الملك المعظم؛ البديع الرفيع المكر؛ كهف الدين؛ جمال الإسلام والمسلمين؛ مدفن الأنبياء والمرسلين؛ ملجأ الفقراء والمساكين؛ مأوى الغرباء والمقلين؛ بيت الأتقياء والصالحين.....؛ ما يقاسونه من جور العمال؛ وتضييع

1 عبد القادر بوعرفة: انطولوجيا فلسفة النقد والسخرية في المنام الكبير تاريخ الاطلاع، 10،

مارس 2020؛ على الساعة 21h 15m، ص: 4.

2 ابن محرز الوهراني: منامات الوهراني؛ ص: 67.

3 المرجع السابق: عبد القادر بوعرفة ص: 4.

الأعمال؛ ونهب الوقوف؛ وخراب الحيطان والسقوف؛ قد لفهم الظلم والظلام وأنكرهم المؤذن والإمام؛ فلا تسمح لهم حسيسا؛ ولا ترى فيهم انسيا....¹

تتضمن مقاطع تشكو فيها المساجد حالها تمثلت فيما يأتي:

جور العمال.

تضييع الأعمال.

نهب الوقوف.

خراب الحيطان والسقوف.

أذان اليوم وتسبيح الغيوم.

ركوع الحيطان وسجود السقوف و الأركان.

حيث وصفت المساجد ما آل إليه؛ وركزت في شكواها على الوصف الخارجي من الجدران والسقوف... وغيرها فابتدأ أجامع المزه وهو احد الجوامع في دمشق؛ وقد اسند إليه الكاتب المقال؛ وبطلب من المسجد الأمير فبدا مقاله بالحمدلة والشهادة قائلا: " الحمد لله الذي قضي علينا بالخراب؛ وصب أموالنا كالسراب؛ وجعلنا مأوى البوم والغراب؛ احمده حمد من كان فقيرا ثم استغنى وأدرك بمال الوقوف ما تمنى؛ واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له؛ واشهد أن محمد عبده المكين ورسوله الصادق الأمين؛ وصلى الله عليه وعلى اله الطيبين الأكرمين."²

أي إجلالا للمسجد الأمير فان جامع المزه فهو لم يبتدىء شكواه إلا بالدعاء ووظف فيه من مدح ودعاء لكي يقربه منه ولكي يثير صافقته فينصره على من ظلمه؛ ثم اتم قائلا: "أيها الملك السعيد؛ ثبت الله قواعد أركانه وشيد ما وهي من بنيانك؛ فان الخراب قد استولى على المساجد؛ حتى خلت من الركع والساجد؛ فأصبحت مساجد(الغوطة) غيطان لا سقوف لها ولا حيطان؛ وجوامع(حوران)مخازن وافران؛ ومشاهد(البقاع) صعصعا كالقاع؛ فكم بنية لعب الجوار بأثوابها؛ فنسج العنكبوت على بابها؛ وكم بيوت لله غلقت دون أصحابها؛ فعشش الحمام في محرابها..."³

¹ابن محرز الوهراني: ص61.

²ابن محرز الوهراني: ص: 63.

³المصدر نفسه: ص: 63.

فقال الملك: قد سمعنا كلام المساجد؛ فما بال المشاهد؟ أي انه شكاه خراب المساجد وهلاكها وسقوط سقوفها وحيطانها وانهي لها وتلك شكوى المساجد؛ لكن المشاهد كانت حاضره فحدث لها ما حدث للمساجد.

فبرز مشهد (برزة) وينسب هذا إلى المدينة التي توجد فيها وهي مدينة بالشام من عمل الغوطة؛ أي برزة هي مدينة متواجدة في الشام.

برز مشهد برزة وهو يصلصل ويصول ويلطم وجهه ويقول:

كلما حاولت أشكو قضي لا الأقي غير ذي قلب جريح

يتشكى مثل شكوى مجتبي يا قومي ما عليها مستريح

هي ذلك دلالة على الغصة في صدره وأراد أن يشكو وذلك يجرح قلبه؛ وإذا اشتكى استراح وارتاح.

ثم اتم قائلا: "فان المقام إبراهيم أصبح في كل واد يهيم ومغارة الدم لا تستفيق من الدم؛ ومشهد الكهف لا يفتر من اللهب ومشهد هابيل قد رمى بطير أبابيل؛ ومشهد شيث قد استأصله الخبيث؛ ومشهد نوح نبكي ونوح... أي أن شكواه تضمنت جملة من المشاهد الأثرية المقدسة في دمشق كمغارة الدم ومشهد الكهف؛ ومقام إبراهيم ومشهد هابيل؛ ومشهد شيث ومشهد نوح.

فتحنح الملل عجا؛ وحرك رأسه طربا وقال:

رب طارق على غير وعد وفي كل واد بنو سعد¹

حيث أثرت شكوى المساجد على مشاعره وأنصت إليها وتأثر بها وتعجب منها؛ ثم استفتح بقوله: بعد حمد الله وشكره وأثنى عليه وشهد بوجدانيته: "يا معشر المتكلمين وطائفة المساجد والمتظلمين؛ انه والله لا ينتهي إليكم من الجوار إلا ما يفضل عني؛ ولا يصل إليكم إلا ما يستعار مني فلولا أن أركاني؛ وبنيتي قديمة؛ لأصبح جامع بني أمية يعنى عليه يا دارمية) وقد واله شرقت بغصتكم وجرت في قصتكم أن رفعت أمركم إلى صدوركم غصة...² أي أن المسجد لم يسلم من الظلم إذ لم يأ بهو مكانته، ولجوسه على العرش المساجد، وما جعله اخف تضررا من المساجد الأخرى هي رصانة بنائه إذ هو أقدمها، ومنه فان الحالة المأساوية للمساجد هي صورة المجتمع آنذاك وما اشتهر فيه من ظلم.

¹ابن محرز الوهراني:ص 65.

²المصدر نفسه:66.

ملحق الشخصيات

1 - ابن المحرز الوهراني:

حياته وأثاره:

ابن محرز الوهراني من الأسماء المنسية في الصفحات التاريخ المطوية رغم انه من أهم الشخصيات؛ التي يمكن الرجوع إليها أثناء الدراسة لأدب القديم؛ فمن هو ابن محرز الوهراني؟ وما هي حياته وأسلوبه؟

/ حياته:

"هو محمد بن محرز الوهراني ركن الدين أبو عبد الله: أديب صناعته الإنشاء؛ كان بارع في الهزل والسخرية؛ نشأ في وهران ورحل إلى دمشق فمر بالصقلية؛ دخل دمشق في عهد"تور الدين محمود بن زنكي" تم زار بغداد وعاد إلى دمشق فولى خطابة جامع داريا، زار القاهرة في أيام" صلاح الدين الأيوبي" فلقب " القاضي الفاضل" و"عماد الدين الأصفهاني" وغيرها وعاد إلى داريا وتوفي فيها"¹ وقال عنه ابن خلكان:" الوهراني هذه نسبة إلى وهران وهي مدينة كبيرة في ارض قيروان بينها وبين تلمسان مسافة يومين وهي على ساحل بحر الشمال"².

يأتي الوهراني تاليا لمبدعي المقامات الهمداني والحريري وقد جمع بين المقامة كفن خاص وضوابطه؛ وبين الأدب الرسالة والمنامات فشق طريقه بوضوح بعيدا عن التعقيدات التي سار عليها مبدعو المقامات لم يقتصر نسب الوهراني إلى مدينة وهران فقط؛ بل تعداها إلى قطر المغربي بأكمله، ذلك أمر كان شائعا في بلده ويظهر كسبه للقطر المغربي في ما كتبه عن نفسه، فغالبا ما يضيف إلى نسبه كلمة "المغربي"³.

¹عادل نويهض:معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى عصر الحاضر، مؤسسة نويهض؛ بيروت؛ ط2؛ 1982؛ ص 350.

²ابن خلكان: وفيات الأعيان؛ مجلد4، سيرة 656؛ ص:385.

³ينظر: ركن الدين الوهراني: منامات الوهراني ، ص:30

ب/ أسلوبه:

كتب **الوهراني** بأسلوب نثري مرسل حاكى فيه كتاب القرن الرابع هجري وسجع المقامات ونأى به عن صنعة الهمذاني والقاضي الفاضل فجاءت كتاباته عفوية تتدفق بالحيوية؛ ولما كان ظريفا خفيف الروح؛ بارعا في الهزل والسخرية مجيدا للتهكم والسخرية، فقد صب سخريته على كبار العلماء دمشق فقهاؤها وأطبائها وكتابها" كالتاج الكندي" و" المهذب" و" ابن النقاش" و" القاضي الفاضل" و" القاضي ضياء الدين السهر زوي" وغيرهم ولعل سلوك الوهراني مسلك الهزل مرده إلى التكسب وطلب المال؛ يحدثنا عن نفسه فيقول: " لما تعذرت مأربي واضطربت مغاربي، أقيت حبلي على عاري؛ وجعلت من هبات الشعر بضاعتي... فما مررت بأمرير إلا حلتت ساحته واستمطرت راحته ولا بوزير قرعت بابه؛ وطلبت ثوابه؛ ولا قاضي إلا اخذ صيبيه وأفرغت جيبه".¹

ج/ مؤلفاته:

برع **الوهراني** في الكتابة والتأليف إذ كان له فضل كبير في إثراء الرصيد الأدبي؛ فخلف منامات ومقامات ورسائل تختلف من حيث الطول والقصر جمعها وحققها ظلها ووضعها تحت عنوان: " منامات الوهراني ومقاماته ورسائله"؛ كل من الأستاذين " إبراهيم شعلان"؛ "محمد نغش"؛ مع مراجعة " لعبد العزيز الأهواني" عام 1968 م؛ إذا اعتمد المحققان في إصدار آثار الوهراني على خمس نسخ ويذكر أن صلاح الدين المنجد سبق له ان نشر نسخة رقعة على لسان جامع دمشق من مؤلف الوهراني اعتمادا على نسخة برنستون فقط.

1 رسائل الوهراني:

هو كتاب المخطوط بالقاهرة يضم بعض الرسائل **الوهراني**، وقد ذكر المحققان انه من إنشاء "القاضي الفاضل" اعتماد على العبارات المكتوبة على الصفحة الأولى " أنشاه الأديب لفاضلي كاتب الرسائل والإنشاء رحمه الله"²؛ أما داخل الكتاب فالرسائل كلها منسوبة إليه.

2 جليس كل ظريف: هو كتاب حصل عليه المحققون من مكتبة برنستون princeton بأمریکا وقد ضم هذا الكتاب مجموعة من

¹ ركن الدين الوهراني: منامات الوهراني، ص: 01.

² الوهراني المصدر نفسه، ص: 230.

مقامات؛ الوهراني منها: "المقامة الميافريقية" و "مقامة الصقلية" و "ومنام الكبير". إلا أن أغلب هذه الكتابات و ردت ناقصة.

مجموعة مقامات ورسائل الوهراني:

وهو كتاب وجد فيه مقامات ورسائل الوهراني وجد بمكتبة "محمد تيمور" بدار الكتاب المصرية إلا أن محقق الكتاب ذكر انه اختفي من أيديهم بعدما شرعوا في تحليله.

2 - القاضي الفاضل:

اسم الكامل له: عبد الرحيم بن علي بن محمد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل (529 هـ - 596 هـ) أحد الأئمة الكتاب؛ ووزير السلطان "الصلاح الدين الأيوبي"؛ حيث قال فيه صلاح الدين الأيوبي (لما فتحت البلاد بالعساكر إنما فتحتها بقلم القاضي الفاضل).

ولد القاضي الفاضل بمدينة "عسقلان" شمال غزة في فلسطين سنة 529 هـ؛ وانتقل إلى إسكندرية ثم إلى القاهرة؛ كان يعمل كاتباً في دواوين الدولة ثم إلى وزير ومستشار للسلطان صلاح الدين لبلاغته وفصاحته؛ وقد برز القاضي في صناعة الإنشاء وفاق المتقدمين؛ وله فيه الغرائب مع الإكثار قال عنه "عماد الدين الأصفهاني" رب القلم والبيان واللسن اللسان، وقريحة الوقادة والبصيرة النقادة؛ والبدية المعجزة" وكان للقاضي شؤون كثيرة في قيادة الدولة منها كاتباً بارعاً ووزيراً وكانت وفاته بالقاهرة سنة 596 هـ ودفن بالمقطم¹.

3 - صلاح الدين الأيوبي:

الاسم كامل له: الملك الناصر أبو مظفر صلاح الدين والدنيا يوسف بن أيوب بن شاذي بن مروان بن يعقوب الدويني التكريتي (532- 1138) ميلاده و(589 1193) وفاته؛ المشهور بلقب صلاح الدين الأيوبي: قائد العسكري أسس الدولة الأيوبية التي وحدت مصر والشام والحجاز وتهامة واليمن في ظل الراية العباسية بعد إن قضي على الخلافة الفاطمية التي استمرت 262 سنة.

قاد صلاح الدين الأيوبي عدت حملات ومعارك ضد الفرنجة وغيرهم من الصليبيين الأروبيين في سبيل استعادة الأرض المقدسة التي كان الصليبيون قد استولوا عليها

¹بتصرف: ابن خلكان: وفيات الأعيان والأبناء والأبناء الزمان؛ تحقيقك إحسان عباس؛ ص 158؛ إلى 163.

في أواخر القرن الحادي عشرة؛ وقد تمكن في نهاية المطاف من استعادة معظم الأراضي فلسطين ولبنان بما فيها مدينة القدس؛ بعد أن هزم جيش بيت المقدس هزيمة منكرة في معركة حطين.

وفاته: توفي صلاح الدين فجر يوم الأربعاء في 4 مارس سنة 1193م والموافق ل27 صفر سنة 589 للهجرة¹.

4- القاضي ضياء الدين بن الشهر زوري:

هو القاضي ضياء الدين محمد الشهر زوري هو القاسم بن يحيى بن عبد الله بن القاسم؛ اشتهر وعرف بقاضي القضاة ببغداد؛ ضياء الدين أبو الفضائل ابن الشهرزوري؛ عمه هو القاضي كمال الدين محمد الشهرزوري من مواليد مدينة دمشق؛ وكان يتسم بالسماحة والجود والعديد من الفضائل الأخرى.

وكان قاضي يعرف بالعدل وحسن الأخلاق فكان من أفضل القضاة وأعدلهم وقبيل وفاته قام بالتوصية بالقضاء ولابن اخيه ضياء الدين بن تاج الدين الشهرزوري.

وقد ذكر في تاريخ أن القاضي العادل ضياء الدين محمد الشهرزوري سافر إلى الشام واستطاع أن يتولي القضاء هناك بعد عمه؛ ولكن لم يلبث هناك إلا أياماً فقط لان صلاح الدين الأيوبي يرغب في أن يستند القضاء إلى الإمام أبا سعد ابن عسرون ويوليه القضاء بدلا من القاضي ضياء الدين محمد

5- التاج الكندي:

الاسم الكامل هو: أبو اليمز زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد الكندي؛ الملقب تاج الدين الكندي البغدادي؛ المولود في شعبان سنة 520 هـ) وكان قد لقي جلة المشايخ واخذ عنهم؛ منهم: الشريف أبو لسعادات ابن الشجري؛ وأبو محمد ابن الخشاب؛ وأبو منصور الحوا لقي؛ وسافر عن بغداد في شبابه وآخر عده لها في سنة(573 هـ) استوطن حلب لمدة؛ وكان يبتاع الخلية المستعمل؛ ويسافر به إلى بلاد الروم يبيعه ويعود إليها؛ ثم انتقل إلى دمشق؛ وصحب الأمير عز الدين فروخ شاه بن شاهان شاه؛ وهو ابن أخي السلطان صلاح الدين الأيوبي؛ وسافر في صحبته إلى

¹بتصرف: صلاح الدين الأيوبي: هلال حطين ومحرر القدس من الصليبيين؛ عبد الله ناصر علوان؛ دار السلام للطباعة ونشر توزيع؛ د ط؛ د ت؛ ص؛ 15/11.

الديار المصرية؛ واقتني من كتب خزائنها كل نفيس وعاد إلى دمشق واستوطنها
وقصده الناس واخذوا عنه؛ وله كتاب مشايخه كل حروف المعجم؛ وكان له شعر
جيد وشهرته تعنى عنه الإطناب في وصفه.

وفاته: توفي في سنة 613 هـ بدمشق.

خاتمة

في الختام يتضح لنا؛ بعد الدراسة في كتاب الوهراني "منامات الوهراني ومقاماته ورسائله"؛ جملة من النتائج وهي:

1 إن في كتابه يلمس سخريته من الطبقات المسيطرة في المجتمع ومن الساهرين على شؤون الناي من الوزراء وكتاب وفقهاء وقضاة.

2 تمكين الوهراني من وصف الواقع مهمشين في مجتمعه عن طريق نظرة تستند إلى مقارنة واقعين المختلفين: واقع الترف وواقع التهميش باتخاذ السخرية.

3 اتخاذ الوهراني في كتابه قناعاً لإدانة كثير من الظواهر الاجتماعية كاللهو والمجون والفحشاء.

4 تناول بعض القيم السلوكية و الأخلاقية المنحرفة عند بعض طبقات المجتمع كالمتصوفة.

5 قبح الألفاظ واستعمال الفاحش منها ليصيب في موضوعاته.

6 التعريض بأحسن الألقاب وتمهيد الذكر بسيئتها.

7 اختلاط الموضوعات فيما بينها بما يخدم الكاتب إذ يمزج بين الشوق والمدح ويدخل الهجاء والشكوى.

8 طغيان السخرية والتهكم والهجاء اللاذع وكذلك المجون على الموضوعاته.

9 تخصيص الفقهاء والقضاة وكل ذي صلة بالدين والهجاء اللاذع وبأقبح الصفات.

10 مرجعية لشخصياته فهي ذات مرجعية واقعية فمنهم الملوك والأمراء وكذلك الكتاب والشعراء ممن عاصروهم الوهراني كابن الشهر زوري والأصفهاني والشيخ ابن أبي عسروني.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: برواية ورش

المصادر:

01 **الوهراني ركن الدين محمد:** منامات الوهراني ومقاماته ورسائله؛ تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نغش؛ منشورات كولونيا؛ ألمانيا؛ (ط1)؛ 1998.

02 **أبو قاسم شهاب الدين:** الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية؛ ج2 ، ط1 ؛ (د ت).

المراجع:

03 **الأيوبي صلاح الدين:** بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين له: عبد الله ناصر يعلوان؛ دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع (د ط)؛ (د ت).

04 **بو حجام محمد الناصر:** السخرية في الأدب الجزائري الحديث؛ جمعية التراث القرارة؛ الجزائر (د ط)؛ 2004 .

05 **بن قينه عمر:** فن المقامة في الأدب العربي الجزائري؛ دار المعرفة الجزائرية؛ (د ط) 2007 .

06 **بن مرسي لحارثي محمد:** الاتجاه الأخلاقي في النقد العربي حتى نهاية القرن السابع هجري؛ مطبوعات نادي مكة؛ (د ط)؛ (د ت).

07 **خليل الضمور نزار عبد الله:** السخرية والفكاهة في النثر العباسي حتى القرن الرابع الهجري؛ (د ط)؛ (د ت).

08 **سلواي رشد:** مصطلح النقد في التراث محمد مندور؛ علم الكتب للنشر والتوزيع؛ (د ط)؛ (د ت).

09 **شمس سمير:** الجامع في المقامات؛ دار المدار الثقافية؛ (د ط)؛ (د ت).

10 **شكعة مصطفى:** بديع الزمان الهمذاني؛ الدار المصرية اللبنانية؛ القاهرة؛ (ط1)؛ 2003.

11 - **ضيف شوقي:** المقامة؛ دار المعارف؛ القاهرة؛ (د ط)؛ 1973 .

12 - **عباس حسن:** نشأة المقامة في الأدب العربي؛ المؤسسة دار المعارف؛ (د ط)؛ (د ت).

- 13- **عباس مصطفى الصالح؛** فن المقامة في أصالة العربية والتطور القصصي؛ دار الحرية للطباعة؛ بغداد؛ (د ط)؛ (د ت).
- 14- **عبده محمد:** مقامات البديع الزمان الهمذاني؛ دار الكتب العلمية؛ ط3؛ 2015 .
- 15- **عماد علي سليم الخطيب:** في الأدب الحديث ونقده؛ دار المسيرة للنشر والتوزيع؛ (د ط)؛ 2009 .
- 16- **مرتاض عبد المالك:** فن المقامة في الأدب العربي؛ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع؛ ط2؛ 1988 .
- 17- **مصايف محمد:** دراسات في النقد والأدب؛ المؤسسة الوطنية للكتاب؛ الجزائر؛ (د ط)؛ 1988 .
- 18- **مندور محمد:** في الأدب والنقد؛ دار النهضة؛ القاهرة؛ (د ط)؛ 1973 .
- 19- **منجد صلاح الدين:** الوهراني ورقعة مساجد؛ دمشق؛ (د ط)؛ (د ت).
- 20- **مبارك زكي:** النثر الفني في القرن الرابع الهجري؛ مكتبة السعادة مصر؛ ج1 (ط2)؛ (د ت).
- 21- **هادي مرادي محمد:** فن المقامات النشأة والتطور والدراسة والتحليل؛ (د ط)؛ (د ت).
- 22- **يا عضي دانيال وآخرون:** مقدمة في المناهج للتحليل الأدبي؛ ترجمة وائل بركان؛ غسان السيد؛ مطبعة زيد بن ثابت؛ (د ط)؛ (د ت).
- المعاجم:**
- 23- **ابن خلكان القاضي:** وفيات الأعيان وإنباء الأبناء الزمان؛ تحقيق إحسان عباس؛ دار الصادرة؛ بيروت؛ ج2؛ (د ط)؛ 1972 .
- 24- **ابن منظور الإفريقي:** لسان العرب؛ دار إحياء التراث العربي؛ ط2؛ 1997 ؛ ج2؛ مادة (ن، ق، ه، و، م).
- 25- **ابن السيد:** المحكم والمحيط الأعظم؛ تحقيق عبد الحميد هندراوي؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ (د ط)؛ 2000 .

26- الزمخشري أبو القاسم: أساس البلاغة؛ دار الهدى؛ عين ميله؛ د ط؛ 1998
27- الصفدي صلاح الدين: الوافي بالوفيات؛ تحقيق تركي مصطفى؛ دار إحياء التراث؛ بيروت؛ ج4؛ (د ط)؛ 2000 .

28- فراهيدي خليل احمد: معجم العين؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت؛ ط1؛ 2003 .

29- نوهض عادل: معجم الأعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر؛ مؤسسة نوهض؛ بيروت؛ ط2؛ 1982 .

دوريات:

30- بو علي عبد الرحمان: مقال اثر المنهج السوسولوجي في الدراسات النقدية العربية؛ مجلة الواحدة؛ تصد عن المجلس القومي للثقافة العربية؛ الرباط؛ العدد 49 . 1988 .

المواقع:

31- بو عرفة عبد القادر: فلسفة النقد والسخرية في الكتابات أبو محرز الوهراني؛ الانطولوجيا؛ تاريخ الاطلاع 10 مارس 2020 على الساعة 21 سا و 15 د .

32 ويكيبيديا: الموسوعة الحرة؛: <http://ar.wikipedia.org> في أوت 2012 .

الفهرس

الصفحة	الموضوع
أ.....	مقدمة
01.....	مدخل
02.....	تعريف النقد
02.....	تعريف اللغوي
03.....	تعريف الاصطلاحي
03.....	نقد الاجتماعي
04.....	نقد الاجتماعي
05.....	مقامة
05.....	تعريف اللغوي
05.....	تعريف الاصطلاحي
06.....	رواد المقامة
11.....	خصائصها
12.....	أصل المقامة
13.....	مصدرها
14.....	خصائصها
18.....	الفصل الأول
19.....	السخرية
19.....	تعريف اللغوي
20.....	تعريف الاصطلاحي

20.....	خصائص السخرية
21.....	سبب السخرية
22.....	السخرية ونقده لمنظومة الأخلاقية
24.....	سخريته من الأدباء والعلماء
26.....	الفصل الثاني
27.....	نقد الاجتماعي وتحليلاته
28.....	نقد التصوف
30.....	نقد قضايا الأدب
32.....	نقد الولاة والملوك
36.....	ملخص الشخصيات
37.....	ابن محرز الوهراني
37.....	حياته
38.....	أسلوبه
38.....	مؤلفاته
39.....	مجموعة مقامات ورسائل الوهراني
41.....	الخاتمة
43.....	قائمة المصادر والمراجع
46.....	ملخص المذكرة
49.....	الفهرس

ملخص المذكرة:

المقامة فن أدبي نثري؛ ظهر في القرن 4 هـ زمن روادها أثناء ظهورها "بديع الزمان" (395هـ) و"محمد الحريري البصري" (516هـ)؛ ثم "ركن الدين بن محرز الوهراني" (575هـ) في العصر الأيوبي الذي كان موضوع مذكرتنا الموسومة ب(النقد الاجتماعي وتجلياته في المقامات) "ركن الدين الوهراني" وقد اتضح من خلال هذه الدراسة أن الوهراني يملك أسلوباً متميزاً في النقد الاجتماعي متوجهاً للعلماء والأدباء والمتصوفة عصره؛ وقد غلب عليه السخرية الهادفة إلى تشخيص الظواهر؛ ومحاولة إيجاد البدائل لها.

الكلمات المفتاحية:

النقد؛ النقد الاجتماعي؛ المقامة؛ السخرية؛ المنام الكبير؛ ركن الدين الوهراني.